البرهان في تفسير سورة الإنسان

دراسة تحليلية

إعداد الدكتور

محمد فراج طه علي

عضو مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية

مشيخة الأزهر الشريف

البرهان في تفسير سورة الإنسان دراسة تحليلية

محمد فراج طه علي

قسم أصول الدين، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، الأزهر الشريف، مصر.

البريد الإلكتروني: altndy@gmail.com

ملخص البحث

التفسير التحليلي هو العامل المهم في إبراز الهدف الكلي للسورة القرآنية؛ لأنه يفسرها بسياقات متعددة، وكل منها يبرز هدفًا قرآنيًا معينًا، من خلاله نعرف المقاصد الأساسية للسور، وهذا النوع من التفسير أسهم بشكل كبير في إيجاد علاقة قوية تربط بين المفردات، وتبرز المعاني الدقيقة والعميقة لألفاظ القرآن، وذلك من خلال المباحث اللغوية والبلاغية والإعجازية، وإزالة اللبس الذي يتوهم في فهم واستيعاب الآيات القرآنية، ويكون ذلك بشرحها شرحًا وافيًا يزيل اللبس، ويحقق المراد.

اتبعتُ في هذ البحث المنهجَ التحليليّ وذلكَ بعرضِ الفكرةِ، وتحليلها تحليّلًا علميًّا وفق القواعد المتبعة التي وضعها الأئمة-رضوان الله عليهم- ومناقشتها مناقشةً علميةً، مع الالتزامِ بالضوابطِ التي أجمعَ وأكَّدَ عليها علماءُ المسلمين.

قمت بفهرسة مقاطع سورة الإنسان، وذلك بجعل عنوان مناسب لكل مقطع حتى يتيسر للقارئ أن يضع جملة من الآيات تحت عنوان يدل عليها؛ ليفهمها فهمًا دقيقًا دون تشتت، وعندما أتعرض لتفسير الآيات أُوَضِّحها من جميع جوانبها، وذلك عن طريق شرح المفردات اللغوية، والتعرض للإعراب والبلاغة، والقراءات، ثم بعد ذلك أُبين المعنى الإجماليَّ للآيات، ثم أتبع ذلك بالتفسير التحليلي لكل مقطع من المقاطع التي بوبت لها، وأخيرًا أذكر ما ترشد إليه الآيات.

ذيَّلت البحث بفهارسَ كاشفةٍ لتيسيرِ الوصولِ إلى المعلومةِ من غيرِ تكلفٍ أو عناءٍ، ملتزمًا في ترتيبِها حروفَ المعجمِ، باعتبارِ الحرفِ الأولِ للكلمةِ، وهذا يكون في فهرس المصادر والمراجع، أما فهرس الموضوعاتِ فعلى حسبِ ترتيبِها في البحثِ.

الكلمات المفتاحية: البرهان – تفسير– سورة الإنسان – دراسة – تحليلية.

Thee Proof of Interpretation with Reference to Surat *Al- Insaan* (The Chapter of Man) An Analytical Study

By: Mohammed Farrag Taha Ali
Department of Osoul Al- Deen
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo
Azhar University

Abstract

The analytical interpretation constitutes an important factor for clarifying the collective objective of the Qur'anic Sura as it interprets the Sura in various contexts and each one of them displays a certain Qur'anic purpose through which we recognize the basic objectives of the chapters. Such approach of interpretation has largely contributed to establishing a powerful relationship that connects items of vocabulary together and highlights the accurate and profound meanings of the words of the Qur'an through linguistic, rhetorical, and miraculous investigations. Moreover, this interpretation removes the confusion that fantasizes throughout understanding and perceiving the Qur'anic verses. Such end is achieved through explaining the verses comprehensively in a way that removes confusion and achieves the intended objective. The research has applies the analytical approach where the idea is displayed and analyzed scientifically according to the rules established by the Imams (May Allah be satisfied with them). The idea is also discussed scientifically conforming to the rules agreed and confirmed unanimously by the Muslim scientists. The sections of Surat *Al- Insaan* have been indexed by selecting a suitable title for every section to facilitate collecting a group of verses by the reader under one indicative title so that the reader can understand them precisely without distraction. Whenever the researcher handles the interpretation of verses, he clarifies them from all perspectives by means of explaining the linguistic vocabularies, considering parsing, rhetoric, and readings. Then the researcher demonstrates the overall meaning of the verses. Next, the researcher traces the analytical interpretation of each entitled section. Finally, the researcher states what the verses guide to. The research closes with outstanding indexes to facilitate finding information without any effort. Those indexes are arranged in accordance with the dictionary considering the first letter of the word. Likewise, the indexes of sources and references follow the same technique but as for the index of topics, it is arranged according to their order in the research.

Key words: the proof, interpretation, Surat *Al- Insaan* (The chapter of Man), study, analytical.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمدُ للهِ المتوحِّدِ بالعظمةِ والجلالِ، المتعالي عن الأشباهِ والأمثالِ، أحمدُه سبحانَه وأشكُرُه؛ مَنَّ علينا بواسعِ الفضلِ وجزيلِ النَّوَال، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، كَتَب الفلاحَ لمن اتَّبَعه واحتكمَ إلى شرعهِ، ففاز في الحالِ والمآلِ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه -صلى الله وسلمَ وبارَكَ عليه- وعلى آله وصحبه خير صحبٍ وآل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد مَرَّ على الإنسانية حين من الدهر وهى تَتَخَبَّطُ في مَهَمه من الضلال متسع الأرجاء، وتسير في غمرة من الأوهام، ومضطرب فسيح من فوضى الأخلاق وتنازع الأهواء، ثم أراد الله لهذه الإنسانية المعذَّبة أن ترقى بِرُوح من أمره، وتسعدَ بوحي السماء، فأرسل إليها على حين فترة من الرسل رسولًا صنعه الله على عينه، واختاره أمينًا على وحيه، فاطَّلع عليه بنوره وهَدْيه، كما يطَّلع البدر على المسافر البادي بعد أن افتقده في الليلة الظلماء.

ذلك هو محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- نبيُ الرحمةِ، ومُبَدِّد الظلمة، وكاشفُ الغُمة، أرسله الله إلى هذه الإنسانية الشَّقيَّة المعذَّبة، ليزيل شِقوتها، ويَضَع عنها إصرها، والأغلال التي في أعناقها، وأنزل عليه كتابًا ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] وجعل له منه معجزة باهرةً، شاهدةً على صدق دعوته، مؤيِّدةً لحَقِّيَّة رسالته، فكان القرآنُ هو الهدايةُ والحُجَّة، هداية الخلق وحُجَّة الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

لم يَكَد هذا القرآن الكريم يقرع آذان القوم حتى وصل إلى قلوبهم، وتَمَلَّك عليهم حسَّهم ومشاعرهم، ولم يُعرِض عنه إلا نَفَرٌ قليل، إذ كانت على القلوب منهم أقفالُها، ثم لم يلبث أن دخل الناس

(١) سورة المائدة ٥ آية رقم ١٦.

في دين الله أفواجًا، ورفع الإسلام رايته خفَّاقةً فوق ربوع الكفر، وأقام المسلمون صرح الحق مُشَيَّداً على أنقاض الباطل(١).

لذا سعد المسلمون بهذا الكتاب الكريم، الذى جعل الله فيه الهدى والنور، ومنه طِبُّ الإنسانية وشفاءُ ما في الصدور، وأيقنوا بصدق الله حيث يصف القرآن فيقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(٢).

فقد كَثُرت التفاسير حول هذا الكتاب الكريم، فأحببت أن أجمع تفسيرًا لسورة الإنسان يجمع الشتات ويوضح المراد، فجاء هذا الموضوع بعنوان: «**البرهان في تفسير سورة الإنسان دراسة تحليلية**».

أهمية الموضوع:

أولًا: تكمن أهمية هذا الموضوع في إيجاد العلاقة التي تربط بين المفردات، والكلمات التي ترد في الجملة، وذلك من خلال التفسير التحليلي لسورة الإنسان.

ثانيًا: إبراز المعاني الدقيقة والعميقة لِلَّفظة القرآنية، وذلك من خلال المباحث اللغوية والبلاغية والإعجازية في تفسيرها التحليلي.

ثالثًا: إزالة اللبس الذي يتوهم في فهم واستيعاب الآيات القرآنية، ويكون ذلك بشرحها شرحًا وافيًا ، يزيل اللبس ويحقق المراد.

رابعًا: الخروج بفوائد مهمة، وذلك عند التعرف على ما ترشد إليه الآيات القرآنية في هذه السورة.

سبب اختيار الموضوع:

ومما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب منها ما يأتي:

أولًا: أن التفسير التحليلي لسور القرآن يتسم بخصائص انفرد بها عن غيره من أنواع التفسير، في كونه هو الأسلوب الأقدم لعلم التفسير، واعتماده على الإيجاز والإطناب، والتسلسل والتدرج بسور القرآن الكريم وآياته.

---

(١) يراجع: التفسير والمفسرون ١/ ١٠، المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) ، الناشر: مكتبة وهبة القاهرة دون ذكر سنة الطبع.

(٢) سورة الإسراء ١٧ الآية رقم ٩.

ثانيًا: التفسير التحليلي هو العامل المهم في إبراز الهدف الكلي للسورة القرآنية؛ لأنه يفسرها بسياقات متعددة، وكل منها يبرز هدفًا قرآنيًا معينًا، من خلاله نعرف المقاصد الأساسية للسور القرآنية.

ثالثًا: يعد التفسير التحليلي المسلك البياني للنص القرآني الذي لا غنى عنه لأي مفسر، فهو يزوده بشتى الوسائل المختلفة؛ لأداء مهمته التفسيرية.

المنهج المتبع في البحث:

اتبعتُ في هذهِ الدراسةِ المنهجَ التحليليَّ(١)، وذلكَ بعرضِ الفكرةِ، وتحليلها تحليلًا علميًّا وفق القواعد المتبعة التي وضعها الأئمة-رضوان الله عليهم-، ومناقشتها مناقشةً علميةً ، مع الالتزامِ بالضوابطِ التي أجمعَ وأكَّدَ عليها علماءُ المسلمين.

خطوات تنفيذ وإعداد الموضوع:

أولاً: قمتُ بفهرسة مقاطع سورة الإنسان، وذلك بجعل عنوان مناسب لكل مقطع حتي يتيسر للقارئ الكريم أن يضع جملة من الآيات تحت عنوان يدل عليها؛ ليفهمها فهمًا دقيقًا دون تشتت.

ثانيًا: عندما أتعرض لتفسير الآيات أوضحها من جميع جوانبها، وذلك عن طريق شرح المفردات اللغوية، والتعرض للإعراب والبلاغة والقراءات، ثم بعد ذلك أُبين المعنى الإجمالي للآيات، ثم أتبع ذلك بالتفسير التحليلي لكل مقطع من المقاطع التي بوبت لها، وأخيرًا أذكر ما ترشد إليه الآيات.

ثالثًا: أثبــتُّ الآيات القرآنية حسب الرسم العثماني، وجعلت الآية بين معكوفين ﴿﴾ وذكرت اسم السورة ورقمها ورقم الآية في الهامش.

رابعًا: عند ذكر المرجع لأول مرة أكتبه كاملًا، وبعد ذلك أكتفي بذكر اسم الكتاب ورقم الصفحة، وعند نقلى من أي كتاب فإن نقلت باللفظ أقول : ينظر، وعندما أتصرف في النقل أقول : يراجع، وهذا في الغالب.

---

(١) المنهج التحليلي هو: المنهج الذي يتم من خلاله دراسة الإشكالات العلمية المختلفة ، ويعد هذا المنهج ملائمًا للعلوم الشرعية بشكل كبير. يراجع: المنهجية في إعداد الرسائل والأبحاث ١/ ١٤٢، صلاح الدين فوزي، الطبعة الأولى١/ ١/ ٢٠١٢م ، الناشر: دار النهضة العربية للنشر والتوزيع القاهرة.

خامسًا: تخريجُ الأحاديثِ النبويةِ والآثارِ، بذكرِ أشهرِ من أوردها من أئمةِ الحديثِ، مع ذكرِ الكتابِ والبابِ والجزءِ والصفحةِ ورقمِ الحديثِ، وأكتفي بوروده في الصحيحينِ أو أحدِهما إن كان الحديثُ فيهما أو في أحدِهما، مع بيان درجة الحديث إذا كان في غير الصحيحين.

سادسًا: تذييلُ البحثِ بفهارسَ كاشفةٍ لتيسيرِ الوصولِ إلى المعلومةِ، من غيرِ تكلفٍ أو عناءٍ، ملتزمًا في ترتيبِها حروفَ المعجمِ، باعتبارِ الحرفِ الأولِ للكلمةِ، وهذا يكون في فهرس المصادر والمراجع، أما فهرس الموضوعاتِ فعلى حسبِ ترتيبِها في البحثِ.

خطة البحث

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة وفهارس عامة.

المقدمة: وذكرت فيها: أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والمنهج المتبع البحث، وخطوات تنفيذ وإعداد الموضوع، وخطة البحث.

وأما التمهيد: فذكرت فيه اسم السورة، وعدد آياتها، ونوعها وترتيبها وغرضها ومناسبتها لما قبلها، ومقاصدها وسبب نزولها.

المبحث الأول: تذكير الإنسان بنعم الله عليه، وأن كفره وإيمانه باختياره، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: المفردات اللغوية.

المطلب الثاني: الإعراب.

المطلب الثالث: البلاغة.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي.

المطلب الخامس: التفسير والبيان.

المطلب السادس: ما ترشد إليه الآيات.

المبحث الثاني: الله يخاطب عباده بأسلوب الترغيب والترهيب، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: المفردات اللغوية.

المطلب الثاني: الإعراب.

المطلب الثالث: البلاغة.

المطلب الرابع: القراءات.

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي.

المطلب السادس: التفسير والبيان.

المطلب السابع: ما ترشد إليه الآيات.

المبحث الثالث: الحديث عن الأبرار بشيء من التفصيل، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: المفردات اللغوية.

المطلب الثاني: الإعراب.

المطلب الثالث: البلاغة.

المطلب الرابع: القراءات.

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي.

المطلب السادس: التفسير والبيان.

المطلب السابع: ما ترشد إليه الآيات.

المبحث الرابع: إثبات أن القرآن من عند الله، وأن العبادة هي السبيل إلى الفوز بجنات النعيم، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: المفردات اللغوية.

المطلب الثاني: الإعراب.

المطلب الثالث: البلاغة.

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي.

المطلب الخامس: التفسير والبيان.

المطلب السادس: ما ترشد إليه الآيات.

المبحث الخامس: من اتبع هدى الله فاز، ومن ضل خسر، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: المفردات اللغوية.

المطلب الثاني: الإعراب.

المطلب الثالث: البلاغة.

المطلب الرابع: القراءات.

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي.

المطلب السادس: التفسير والبيان.

المطلب السابع: ما ترشد إليه الآيات.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

الفهارس العامة وفيها:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

التمهيد

اسم السورة:

سورة الإنسان من السور التي ذكر في اسمها كثير من الأسماء، فسميت في زمن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم -«سورة هل أتى على الإنسان»(١).

ورد في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، «أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ: بِـ الم تَنْزِيلُ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى، وَفِي الثَّانِيَةِ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا»(٢).

واقتصر صاحب «الإتقان» على تسمية هذه السورة «سورة الإنسان» عند ذكر السور المكية والمدنية، ولم يذكرها في تعداد السور التي لها أكثر من اسم(٣).

---

(١)ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١١٨، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

(٢) ينظر: صحيح البخاري ٢/ ٥، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، كتاب الجمعة باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة حديث رقم ٨٩١، وصحيح مسلم ٢/ ٥٩٩، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب الجمعة باب ما يقرأ في يوم الجمعة حديث رقم ٨٨٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»٢٩/ ٣٦٩، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٣٧٦، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) ، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ .

وتسمى «سورة الدهر» لورود هذا اللفظ فيها[١]، وتسمى «سورة الأمشاج» ، لوقوع لفظ الأمشاج فيها ولم يقع في غيرها من القرآن، وتسمى «سورة الأبرار»؛ لأن فيها ذكر نعيم الأبرار[٢].

عدد آياتها:

اتفق العادون على أن عدد آيات سورة الإنسان إحدى وثلاثون آية، وألف وأربع مائة وخمسون حرفًا، ومائتان وأربعون كلمة [٣].

نوعها:

سورة «الإنسان» اختلف في كونها مكية، أو مدنية على ثلاثة أقوال:

الأول: أنها مكية وروي ذلك عن ابن عباس، وقتادة ومقاتل، وهو قول ابن مسعود؛ لأنه كذلك رتبها في مصحفه.

---

(١) ينظر: غريب القرآن المؤلف ١/ ٥٠٢، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر ، الناشر: دار الكتب العلمية السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٤/ ٣٧٤، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ ه، وفتح البيان في مقاصد القرآن ١٤/ ٤٥٣، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، والتفسير الوسيط ١٥/ ٢١١. المؤلف: فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر -رحمه الله- ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة. دون ذكر الطبعة، وسنة النشر.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١١٨، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٦٥ المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، والكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٠/ ٩٣، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ،، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٦٩.

الثاني: أنها مدنية رَوى ذلك مجاهد عن ابن عباس، وحكي عن قتادة أيضًا.

الثالث: هي مدنية إلا قوله: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾ [١] رُوي ذلك عن الحسن وعكرمة والكلبي[٢].

والأصح من وجهة نظري: أنها مكية؛ لجريان أسلوبها ومعانيها على نسق وسنن السور المكية، وهذا ما رجحه صاحب التفسير الوسيط حيث قال: «والذي تطمئن إليه النفس أن هذه السورة من السور المكية الخالصة، فإن أسلوبها وموضوعها ومقاصدها كل ذلك يشعر بأنها من السور المكية؛ إذ من خصائص السور المكية كثرة حديثها عن حسن عاقبة المؤمنين، وسوء عاقبة المكذبين، وأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بالصبر، وإثبات أن هذا القرآن من عند الله- تعالى- والتحريض على مداومة ذكر الله- تعالى- وطاعته، وكل هذه المعاني نراها واضحة في هذه السورة»[٣].

ولقد رأينا الإمام ابن كثير- وهو من العلماء المحققين- عند تفسيره لهذه السورة، قال بأنها مكية

---

(١) سورة الإنسان ٧٦ آية رقم: ٢٤.

(٢)ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١١٨، وزاد المسير في علم التفسير ٤/ ٣٧٤، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ٨/ ٣٦٥، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت ، دون ذكر سنة طبع، وفتح القدير للشوكاني ٥/ ٤١٤، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤٠٨، وتفسير السمعاني ٦/ ١١٢، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) ، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٣٧٦، وفتح البيان في مقاصد القرآن ١٤/ ٤٥٣ المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م ، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٦٩.

(٣) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢١١.

دون أن يذكر في ذلك خلافًا، مما يوحى بأنه لا يعتد بقول من قال بأنها مدنية[١].

ترتيبها.

سورة الإنسان هي السورةُ الثامنةُ والتسعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الرحمن[٢] – وكان نزول سورة الرحمن فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك، فيكون نزول سورة الإنسان في ذلك التاريخ وقبل سورة الطلاق، وهذا على مَن رآى أنها مدنية.

ومن قال بأنها مكية وهو الأصح أخذ بترتيب مصحف ابن مسعود فتكون الثلاثين أو الحادية والثلاثين، وجديرة بأن تعد قبل سورة القيامة، أو نحو ذلك حسبما ورد في ترتيب ابن مسعود[٣]، لما روي عَنْ عَلْقَمَةَ، وَالْأَسْوَدِ، قَالَا: أَتَى ابْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ، فَقَالَ: إِنِّي أَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ: أَهَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَنَثْرًا كَنَثْرِ الدَّقَلِ، «لَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْرَأُ النَّظَائِرَ السُّورَتَيْنِ فِي رَكْعَةٍ، الرَّحْمَنَ وَالنَّجْمَ فِي رَكْعَةٍ، وَاقْتَرَبَتْ وَالْحَاقَّةَ فِي رَكْعَةٍ، وَالطُّورَ وَالذَّارِيَاتِ فِي رَكْعَةٍ، وَإِذَا وَقَعَتْ، وَنُونَ فِي رَكْعَةٍ، وَسَأَلَ سَائِلٌ وَالنَّازِعَاتِ فِي رَكْعَةٍ، وَوَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ وَعَبَسَ فِي رَكْعَةٍ، وَالْمُدَّثِّرَ وَالْمُزَّمِّلَ فِي رَكْعَةٍ، وَهَلْ أَتَى وَلَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي رَكْعَةٍ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَالْمُرْسَلَاتِ فِي رَكْعَةٍ، وَالدُّخَانَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ فِي رَكْعَةٍ»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «هَذَا تَأْلِيفُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَحِمَهُ اللهُ» [٤].

((١ينظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٨٥) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٦٥ المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٦٩.

(٤) أخرجه أبو داوود في سننه ٢/ ٥٦، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، كتاب الصلاة باب تحزيب القرآن حديث رقم ١٣٩٦.

غرضها:

الغرض من هذه السورة بيان أثر الشرائع في رفعة الإنسان، وقد اقتضى هذا أن يجري سياقها في شيء من الترغيب والترهيب، وهذا سياق يشبه سياق السورة المذكورة قبلها-سورة القيامة-، ولهذا ذكرت بعدها[١].

مناسبتها لما قبلها:

لما تقدم في آخر سورة القيامة الأهوال التي يلقاها الفجار يوم القيامة، والتهديد على مطلق التكذيب، وأن المرجع إلى الله وحده، والإنكار على من ظن أنه يترك سدى، والاستدلال على البعث وتمام القدرة عليه، تلاه أول هذه السورة بالاستفهام الإنكاري على ما يقطع معه بأن لا يترك سدى، وذكره أيضًا لما يلقاه الأبرار من النعيم المقيم في تلك الدار فقال على وجه التفصيل ما له -سبحانه وتعالى- على الإنسان من نعمة الإيجاد والإعداد والإمداد والإسعاد[٢].

مقاصدها:

من مقاصد السورة الكريمة وأغراضها:

أولًا: هذه السورة الكريمة فيها تقرير وتذكير بخلق الإنسان بعد العدم ومنحه العقل والاختيار لاختباره، وإنذار للكفار وتنويه بالمؤمنين، وبيان مصير كلّ منهم في الآخرة مع وصف رائع لمصير المؤمنين، وتلقين بتقوى الله والرأفة بالبؤساء، وتثبيت للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- وتهوين لموقف الكفار منهم ونعي

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية خصائص السور ١٠/ ٢٨١، المؤلف: جعفر شرف الدين ، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي ، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ. ، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ. .

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢١/ ١٢٠، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة دون ذكر سنة الطبع، وتفسير الشيخ المراغي ٢٩/ ١٥٩، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

عليهم لمحبتهم الدنيا وإهمالهم الأخرى[١].

ثانيًا: التذكير بأن كل إنسان كون بعد أن لم يكن، فكيف يقضي باستحالة إعادة تكوينه بعد عدمه.

ثالثًا: إثبات أن الإنسان محقوق بإفراد الله بالعبادة شكرًا لخالقه، ومحذر من الإشراك به.

رابعًا: الامتنان على الناس بنعمة الإيجاد ونعمة الإدراك والامتنان بما أعطيه الإنسان من التمييز بين الخير والشر، وإرشاده إلى الخير بواسطة الرسل، فمن الناس من شكر نعمة الله ومنهم من كفرها فعبد غيره.

خامسًا: الإشارة إلى أن الاصطفاء للرسالة نعمة عظيمة يستحق الله الشكر عليها.

سادسًا: إنذار الكافرين بسوء العاقبة إذا ما استمروا على كفرهم، وإثبات أن هذا القرآن من عند الله- تعالى- وأمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأمته بالصبر والإكثار من ذكر الله- تعالى- بكرة وأصيلا، وبيان أن حكمته- تعالى- قد اقتضت أنه يدخل من يشاء رحمته[٢].

سبب نزولها:

ذكر القرطبي -رحمه الله- «أنها نزلت على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وعنده رجل أسود كان يسأله، فقال له عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-: لا تثقل على النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: دعه يا ابن الخطاب قال: فنزلت عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ أَسْوَدُ، فَلَمَّا بَلَغَ صِفَةَ الْجِنَانِ، زَفَرَ زَفْرَةً فَخَرَجَتْ نَفْسُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَخْرَجَ نَفْسَ صَاحِبِكُمْ -أَوْ قَالَ: أَخِيكُمْ-الشوقُ إِلَى الْجَنَّةِ»، [٣]

(١) ينظر: التفسير الحديث ٦/ ١٠٥، المؤلف: دروزة محمد عزت ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة: ١٣٨٣هـ ، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٧١.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢١٢، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ١/ ٤٩٣، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) ، المحقق: محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، المحقق: محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة دون ذكر سنة طبع.

(٣)ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١١٨.

وقال مرسل غريب [١].

وقيل أنها نزلت في صنيع علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في إطعامه عشاءه وعشاء أهله وولده لمسكين ليلة، ثم ليتيم ليلة، ثم لأسير ليلة متواليات، والمقصود من السورة عام، وهكذا القول في كل ما يقال أنه نزل بسبب كذا وكذا.

وقيل نزلت في صنيع ابن الدحداح والله أعلم[٢].

والذي أراه صحيحًا من وجهة نظري: ما ذهب إليه الإمام القرطبي: أن السورة كاملة نزلت وعند

---

(١) وقد جاء موصولًا، فرواه الطبراني في المعجم الأوسط ، فقال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بن عَمَّارٍ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ: نا عَفِيفُ بن سَالِمٍ، عَنْ أَيُّوبَ بن عُتْبَةَ، عَنْ عَطَاءِ بن أَبِي رَبَاحٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْحَبَشَةِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْأَلْوَانِ وَالنُّبُوَّةِ. أَفَرَأَيْتَ إِنْ آمَنْتُ بِمِثْلِ مَا آمَنْتَ بِهِ، وَعَمِلْتُ بِمِثْلَ مَا عَمِلْتَ بِهِ، إِنِّي لَكَائِنٌ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ» ، ... ثم قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الرَّجُلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَجِيءُ بِالْعَمَلِ، لَوْ وُضِعَ عَلَى جَبَلٍ لَأَثْقَلَهُ، فَتَقُومُ النِّعْمَةُ مِنْ نِعَمِ اللهِ، فَتَكَادُ تَسْتَنْفِدُ ذَلِكَ كُلَّهُ، لَوْلَا مَا يَتَفَضَّلُ اللهُ بِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ» . ثُمَّ نَزَلَتْ:﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [الإنسان: ١] ، إِلَى قَوْلِهِ:﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان: ٢٠] ، فَقَالَ الْحَبَشِيُّ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ تَرَى عَيْنِي فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ مَا تَرَى عَيْنُكَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ» فَبَكَى الْحَبَشِيُّ حَتَّى فَاضَتْ نَفْسُهُ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُدَلِّيهِ فِي حُفْرَتِهِ» قال الطبراني: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَطَاءٍ إِلَّا أَيُّوبُ، تَفَرَّدَ بِهِ: عَفِيفٌ، وَلَا يُرْوَى عَنِ ابْنِ عُمَرَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ» ينظر: المعجم الأوسط: ٢/ ١٦١، حديث رقم ١٥٨١ المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) ، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٣، والمؤلف: عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي (المتوفى: ١٢٩٨هـ) حققه، وفصله، وضبطه، وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤٠٨، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٦٩.

رسول الله –صلى الله عليه وسلم– رجل أسود يسأله.

أما بخصوص نزولها كاملة في شأن علي وابن الدحداح فهذا غير صحيح؛ لأن الذي نزل في شأن علي–رضي الله عنه– آية ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[1]، وهذا ما ذهب إليه الواحدي في أسباب النزول: «قَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ أَنَّ عَلِيَّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – نَوْبَةً أَجَّرَ نَفْسَهُ يَسْقِي نَخْلًا بِشَيْءٍ مِنْ شَعِيرٍ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، وَقَبَضَ الشَّعِيرَ وَطَحَنَ ثُلُثَهُ، فَجَعَلُوا مِنْهُ شَيْئًا لِيَأْكُلُوهُ، يُقَالُ لَهُ: الْخَزِيرَةُ، فَلَمَّا تَمَّ إِنْضَاجُهُ، أَتَى مِسْكِينٌ فَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ الطَّعَامَ، ثُمَّ عَمِلَ الثُّلُثَ الثَّانِيَ، فَلَمَّا تَمَّ إِنْضَاجُهُ أَتَى يَتِيمٌ فَسَأَلَ فَأَطْعَمُوهُ، ثُمَّ عَمِلَ الثُّلُثَ الْبَاقِيَ، فَلَمَّا تَمَّ إِنْضَاجُهُ أَتَى أَسِيرٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَطْعَمُوهُ، وَطَوَوْا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ، فَأُنْزِلَتْ فيه هذه الآية»[2].

(١) سورة الإنسان٧٦ آية رقم: ٨.

(٢) ينظر: أسباب النزول ١/ ٤٤٨ المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان ، الناشر: دار الإصلاح – الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

المبحث الأول

تذكير الإنسان بنعم الله عليه، وأن كفره وإيمانه باختياره

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[١].

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: المفردات اللغوية.

﴿هَلۡ﴾ هاهنا فيها وجهان: **أحدهما:** أنها بمعنى «قد»، وتقدير الكلام: «قد أتى على الإنسان» على معنى الخبر، **وثانيهما:** قيل معناها: «أأتى على الإنسان»، على وجه الاستفهام، والأغلب عليها الاستفهام، والأصل فيها معنى «قد» وهي هنا خبر، وليس باستفهام [٢].

﴿ ٱلۡإِنسَٰنِ ﴾: اختلف في الإنسان على قولين: **أحدهما:** هو آدم على قول أكثر المفسرين، **وثانيهما:** جنس بنى آدم [٣].

---

(١) سورة الإنسان٧٦ الآيات ١-٣.

(٢)**ينظر:** تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة ٣/ ١٠٣ المؤلف: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦ هـ) دراسة و، تحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير) ، الناشر: جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م، والكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٠/ ٩٣، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧ هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م، والنكت والعيون ٦/ ١٦١ المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠ هـ) ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان دون ذكر سنة الطبع.

(٣)**ينظر:** تفسير السمعاني ٦/ ١١٢، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن ٨/ ٢٨٩ المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، ، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب =

﴿ حِينٌ﴾: اختلف أهل التأويل في قدر هذا الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو أربعون سنة؛ وقالوا: "مكثت طينة آدم مصورة لا تنفخ فيها الروح أربعين عامًا، فذلك قدر الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع"، وقيل: "إن الحين المذكور ها هنا وقت غير مقدر وزمان غير محدود" وهذا هو الراجح، والله أعلم(١).

﴿ ٱلدَّهۡرِ﴾: هو مرور اللّيل والنّهار، وقيل هو: الزمان الممتد الغير محدود(٢).

﴿ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ أي: لم يذكر اسمه، ولم يدر ما يراد به، وذلك قبل أن ينفخ فيه الروح (٣).

﴿ نُّطۡفَةٍ ﴾: النُطْفَةٍ: هي القليل من الماء.

﴿ أَمۡشَاجٖ ﴾ الأمشاج يعني: الأخلاط فإذا اختلط ماء الرجل وماء المرأة فذلك المَشَج، بفتح

العزيز ٥/ ٤٠٨، وزاد المسير في علم التفسير ٤/ ٣٧٤، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٦٥، ومفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٣٠/ ٧٣٩ المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن ٢٣/ ٥٣٠، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، والهداية الى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٩٠٣ المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) ، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، والنكت والعيون ٦/ ١٦٢، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤٠٨.

(٢)ينظر: تفسير ابن فورك ٣/ ١٠٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٥/ ١٦٧، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، المحقق: علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤٠٨.

(٣)ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/ ٥٧٦، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٣٧٦.

الميم والشين واحدها: مشج ومشيج مثل خدن وخدين[١]، والمَشْجُ والمَشِجُ والمشَجُ والمَشِيجُ: كل لونين اختلطا، وقيل: "هو ما اختلط من حمرة وبياض"، وقيل: "هو كل شيئين مختلطين، والجمع أمشاج مثل يتيم وأيتام" [٢].

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾: نختبره بالأمر والنهي يدل عليه قوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ أي: جعلناه كذلك لنختبره[٣].

﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾: السمع والبصر كنايتان عن الفهم والتمييز، كما قال تعالى حاكيًا عن إبراهيم -عليه السلام-: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [٤]، وأيضًا قد يراد بالسميع المطيع، كقوله: سمعًا وطاعة، وبالبصير العالم يقال: فلان بصير في هذا الأمر، ومنهم من قال: "بل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان، والله تعالى خصهما بالذكر؛ لأنهما أعظم الحواس وأشرفها"[٥].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي: بصرناه، أو أريناه طريق الهدى وطريق الضلالة ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ مؤمنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي: بصرناه طريق الحق والباطل والهدى والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر، ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ، إما مؤمنًا سعيدًا وإما كافرًا شقيًا، وقيل: معنى الكلام الجزاء يعني بينا له الطريق إن شكر أو كفر[٦].

---

(١)ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٥٢٢، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ) ، المحقق: عبد الله محمود شحاته ، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ، وجامع البيان ٢٤/ ٨٨.

(٢) ينظر: لسان العرب ٢/ ٣٦٧، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢٥٧، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٩.

(٤)سورة مريم ١٩آية رقم ٤٢.

(٥)ينظر: مفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٤١.

(٦) ينظر: تفسير القرآن العزيز ٥/ ٧٠، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ) ، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز ، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ومعالم التنزيل ٥/ ١٨٩.

المطلب الثاني: الإعراب.

﴿هَلۡ﴾ حرف استفهام للتقرير أو بمعنى «قد» ﴿عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ متعلّق بـــ ﴿أَتَىٰ﴾، ﴿حِينٞ﴾ فاعل ﴿أَتَىٰ﴾ مرفوع، و ﴿ٱلدَّهۡرِ﴾ هاهنا مصـــدر بمعنى الفاعل، ومعناه: أنّ الله هو الدّاهر، أي المصـــرّف المدبّر، وجملة ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ﴾ لا محلّ لها ابتدائيّة، وجملة ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ في محلّ نصب حال من ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ ، أو في محلّ رفع نعت لـ ﴿حِينٞ﴾ بتقدير الرابط فيه، ﴿مِن نُّطۡفَةٍ﴾ متعلّق بـ ﴿خَلَقۡنَا﴾ ، ﴿أَمۡشَاجٖ﴾ نعت لـ ﴿نُّطۡفَةٍ﴾ مجرور، وجاء النعت جمعًا؛ لأن النطفة في معنى الجمع، أو لأنّ كلّ جزء من النطفة نطفة، و«الفاء» في قوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ﴾ عاطفة، ﴿سَمِيعَۢا﴾ حال منصـوبة من المفعول بتضمين الفعل معنى خلقناه، ﴿بَصِيرًا﴾ حال ثانية منصوبة، وجملة ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ لا محلّ لها اســتئناف بيانيّ، وجملة ﴿خَلَقۡنَا﴾ في محلّ رفع خبر إنّ، وجملة ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ في محلّ نصــب حال من فاعل ﴿خَلَقۡنَا﴾ أو من المفعول، ويجوز أن تكون الجملة مســتأنفة فلا محلّ لها، وجملة ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ في محلّ رفع معطوفة على جملة ﴿خَلَقۡنَا﴾ ، و﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ في موقع الحال، و ﴿إِمَّا﴾ حرف لتفصــيل الأحوال، ﴿شَاكِرٗا﴾ ﴿كَفُورًا﴾ منصــوبان على الحال من هاء﴿هَدَيۡنَٰهُ﴾ منصــوبة، و«الواو» عاطفة، و فِي الْآيَة تَقْدِيم وَتَأْخِير، وَالتَّقْدِير: «إنا خلقنَا الانســان من نُطْفَة أمشــاج نبتليه إِمَّا شاكرًا وَإِمَّا كفورًا فجعلناه سميعًا بَصيرًا» فيكونان حَالين من الانسان، وجملة: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ﴾ لا محلّ لها استئنافيّة، وجملة: ﴿هَدَيۡنَٰهُ﴾ في محلّ رفع خبر إنّ[1].

---

(١)ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٦٢، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ، وإعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٣١٢، المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥هـ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٧٨٢، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي =

المطلب الثالث: البلاغة.

﴿هَلۡ﴾ استفهام تقريري، والاستفهام من أقسام الخطاب وهو هنا موجه إلى غير معين، ومستعمل في تحقيق الأمر المقرر به على طريق الكناية[١]؛ لأن الاستفهام طلب الفهم، والتقرير يقتضي حصول العلم بما قرر به، وذلك إيماء إلى استحقاق الله أن يعترف الإنسان له بالواحدانية في الربوبية إبطالًا لإشراك المشركين، وتقديم هذا الاستفهام؛ لما فيه من تشويق إلى معرفة ما يأتي بعده من الكلام[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ استئناف بياني مترتب على التقرير الذي دل عليه ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾؛ لما فيه من التشويق، وفي قوله تعالى: ﴿مَّذۡكُورًا ﴾ سجع مرصع، وهو من مراعاة الفواصل.

وحقيقة الابتلاء في قوله: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾؛ الاختبار لتعرف حال الشيء، وهو هنا كناية عن التكليف

المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) ، المحقق: د. حاتم صالح الضامن ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ، والمفردات في غريب القرآن ١/ ٣١٩، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، المحقق: صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ، والجدول في إعراب القرآن ٢٩/ ١٨١ المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢٩/ ٢٨١ المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة : الثانية ، ١٤١٨هـ.

(١) **الكناية لغة** : مأخوذة من قولك: كَنَى فلانٌ، يَكْنِي عن كذا، وعن اسم كذا؛ إذا تكلم بغيره مما يستدل به عليه، نحو الجماع والغائط، والرفث ونحوه. ينظر: لسان العرب ٥/ ٤١١، **واصطلاحا:** أن يكنى عن الشيء ويعرِّض به ولا يصرح، أو هي الإشارة إلى الشيء دون إظهار له ، **ينظر:** الصناعتين ١/ ٣١٨، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت عام النشر: ١٤١٩ هـ، ودلائل الإعجاز ١/ ٦٦، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) ، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) **ينظر:** التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٧١.

بأمر عظيم؛ لأن الأمر العظيم يظهر تفاوت المكلفين به في الوفاء بإقامته.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ استئناف بياني لبيان ما نشأ عن جملة ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾، ولتفصيل جملة ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، وتخلص إلى الوعيد على الكفر، والوعد على الشكر.

وبين ﴿شَاكِرًا﴾ و ﴿ كَفُورًا ﴾ طباق، فعندما كان الشكر مَنْ يتصف به قليلٌ قال: ﴿شَاكِرًا...﴾ ، فعبّر عنه باسم الفاعل؛ للدلالة على قلته، وإيراد« الكفور» بصيغة المبالغة؛ لمراعاة الفواصل، والإشعار بأن الإنسان قلما يخلو من كفران ما، فهو كثير مَنْ يتصف به، ويكثر وقوعه من الإنسان(١).

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي.

من أعاجيب الخلق الإلهي: خلق الإنسان بعد العدم، ثم تكاثر النوع الإنساني، وتكليفه بالتكاليف الرّبانيّة المسماة بالأمانة، ثم يمرّ في أطوار الحياة بعد الولادة، وتبدأ مرحلة البلوغ والخطاب الإلهي له، ليكون موضع اختبار على مدى الحياة أو العمر، ويكون في أعقاب الامتحان إما كافرًا جاحدًا، وإما مؤمنًا شاكرًا، ولكلّ جزاؤه، فللكافرين السعير والسلاسل والأغلال، وللمؤمنين الأبرار جنان الخلد والنعيم بسبب ما قدموا من صالح الأعمال(٢).

وعلى ذلك يكون المعنى الإجمالي للآيات: لقد أتى على جنس الإنسان فترة من الزمان كان فيه منسيًّا غير موجود ولا مخلوق ولا مذكور لأحد من الخليقة المتقدمين عليه وهم الملائكة والجنّ، وهذا إخبار عن فترة ما قبل خلق الإنسان، حيث كان معدومًا لا يذكر، أي إذا تأمل كل إنسان نفسه، علم بأنه قد مرّ حين من الدّهر عظيم، لم يكن هو فيه شيئًا مذكورًا، أي لم يكن موجودًا، ثم أخبر الله تعالى عن بدء تكاثر الخلق، فلقد خلق ابن آدم، وأوجده من ماء قليل من المني مختلط بين ماء الرجل والمرأة من أجل اختباره بالخير والشّر وبالتكاليف الشرعية بعد البلوغ، وزودناه بطاقات الفهم والوعي

(١) ينظر: الجدول في إعراب القرآن ٢٩/ ١٨٣، والتفسير المنير ٢٩/ ٢٨١، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٧٣.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي ٣/ ٢٧٨٩ .

والإدراك وهي السمع والبصر؛ ليتمكن من حمل رسالة التكليف واجتياز مرحلة الاختبار، ودللنا الإنسان، وأرشدناه، وبيّنا له طريقي الخير والشّر، والهدى والضّلال، ويكون حاله إما مؤمنًا شاكرًا لأنعم الله، مهتديًا بهديه، وإما كافرًا جاحدًا للنعمة معرضًا عن الطاعة متنكّرًا للهدي الإلهي، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾(١) أي: بيّنا له طريق الخير وطريق الشّر، فهو باختياره بعدئذ إما شقيٌّ أو سعيدٌ(٢).

المطلب الخامس: التفسير والبيان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾(٣).

﴿هَلْ﴾ في كلام العرب قد تجيء بمعنى «قد» ، لكنها لا تخلو من تقرير وبابها المشهور الاستفهام المحض والتقرير أحيانًا، قال ابن عباس "هي هنا بمعنى «قد»"(٤).

وقال صاحب جامع البيان: «وهل في هذا الموضع خبر ، وذلك كقول القائل لآخر يقرره: هل أكرمتك؟ وقد أكرمه، أو هل زرتك؟ وقد زاره، وقد تكون جحدًا في غير هذا الموضع، وذلك كقول القائل لآخر: هل يفعل مثل هذا أحد؟ بمعنى: أنه لا يفعل ذلك أحد»(٥).

والدليل على أنها هاهنا ليست بمعنى الاستفهام وجهان: **الأول:** ما روي أن الصديق -رضي الله- عنه لما سمع هذه الآية قال: «يا ليتها كانت تمت فلا نبتلى»، ولو كان ذلك استفهامًا لما قال: «ليتها تمت»؛ لأن الاستفهام إنما يجاب بلا أو بنعم، فإذا كان المراد هو الخبر، فحينئذ يحسن ذلك الجواب،

---

(١) سورة البلد ٩٠ الآية ١٠.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي ٣/ ٢٧٨٨، والتفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢١٣، والتفسير الحديث ٦/ ١٠٦، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٧٢، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٥٩.

(٣) سورة الإنسان٧٦ الآية ١.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤٠٨.

(٥) ينظر: جامع البيان ٢٣/ ٥٢٩.

الثاني: أن الاستفهام على الله تعالى محال فلا بد من حمله على الخبر[1].

اختلف في الإنسان المذكور هنا على قولين: **أحدهما:** هو آدم على قول أكثر المفسرين ومن ذهب إلى هذا قال: "إن الله تعالى ذَكر خلق آدم في هذه الآية ثم عقب بذكر ولده في قوله:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾"، **الثاني:** جنس بنى آدم، بدليل قوله تعالى:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ، والذي أراه راجحًا -والله أعلم- أن المقصود بالإنسان في قوله:﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ ﴾، وفي قوله تعالى:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو جنس الإنسان؛ لأنه في الموضعين واحد، وعلى هذا يكون الإنسان اسم جنس، وأن الآية جعلت عبرة لكل أحد من الناس؛ ليعلم أن الصانع له قادر على إعادته، وعلى هذا التقدير يكون نظم الآية أحسن[2] والله أعلم.

وقوله: ﴿ حِينٌ﴾ اختلف أهل التأويل في قدر هذا الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو أربعون سنة؛ وقالوا: "مكثت طينة آدم مصورة لا تنفخ فيها الروح أربعين عامًا، فذلك قدر الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع؛ قالوا: ولذلك قيل: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ ؛ لأنه أتى عليه وهو جسم مصور لم تنفخ فيه الروح أربعين عامًا، فكان شيئًا، غير أنه لم يكن شيئًا مذكورًا".

وقال آخرون: "لا حد للحين في هذا الموضع"، -وهو الراجح-، وقد يدخل هذا القول من أن الله أخبر أنه أتى على الإنسان حين من الدهر، وغير مفهوم في الكلام أن يقال: أتى على الإنسان حين قبل

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٣٩.

(٢)ينظر: تفسير السمعاني ٦/ ١١٢، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن ٨/ ٢٨٩ ، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤٠٨، وزاد المسير في علم التفسير ٤/ ٣٧٤، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٦٥، ومفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٣٩ .

أن يوجد، وقبل أن يكون شيئًا، وإذا أريد ذلك قيل: أتى حين قبل أن يخلق، ولم يقل أتى عليه. (١).

قال صاحب المحرر الوجيز: «و«الحين» هنا: المدة من الزمن غير محدودة تقع للقليل والكثير، وإنما تحتاج إلى تحديد الحين في الأيمان، كمن حلف أن لا يكلم أخاه حينًا، فذهب بعض الفقهاء إلى أن الحين سنة، وقال بعضهم: ستة أشهر» (٢).

﴿ ٱلدَّهۡرِ﴾ في هذا الموضع قيل: هو مرور اللّيل والنّهار، وقيل: هو: الزمان الممتد الغير المحدود ويقع على مدة العالَم جميعها وعلى كل زمان طويل غير معين، والفرق بين «الدّهر»و«الوقت» أنّ الوقت يصير بجعل جاعل؛ لأنّ الله تعالى جعل لكل صلاةٍ مفروضة وقتًا، وجعل للصيام وقتًا، وقد يجعل الإنسان لنفسه وقتًا يدرس فيه ما يحتاج إلى درسه ووقتًا مخصوصًا لغذائه(٣).

في قوله تعالى: ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ وجهان: أحدهما: لم يكن شيئًا مذكورًا في الخلق وإن كان عند الله شيئًا مذكورًا، وثانيهما: أي كان جسدًا مصوّرًا ترابًا وطينًا لا يذكر ولا يعرف، ولا يدري ما اسمه؟، ولا ما يراد به، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورًا، وفي الكلام تقديم وتأخير وتقديره: «هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئًا مذكورًا»(٤).

---

(١)ينظر: جامع البيان ٢٣/ ٥٢٩، وبحر العلوم ٣/ ٥٢٥، والكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٠/ ٩٣، الهداية الى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٩٠١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤٠٨.

(٣)ينظر: تفسير ابن فورك ٣/ ١٠٣، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٥/ ١٦٧، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤٠٨.

(٤) ينظر: النكت والعيون ٦/ ١٦٢، والوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤/ ٣٩٨، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨ هـ) ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معوض الدكتور أحمد محمد صيرة الدكتور أحمد عبد الغني الجمل الدكتور عبد الرحمن عويس قدمه، وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

قال صاحب الجامع لأحكام القرآن: «ليس هذا الذكر بمعنى الإخبار، فإن إخبار الرب عن الكائنات قديم، بل هذا الذكر بمعنى الشرف والقدر، تقول: فلان مذكور أي له شرف وقدر، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾[1] ».

فيكون المعنى على ذلك: قد أتى على الإنسان حين لم يكن له قدر عند الخليقة، ثم لما عرَّف الله الملائكة أنه جعل آدم خليفة، وحمَّله الأمانة التي عجز عنها السموات والأرض والجبال، ظهر فضله على الكل، فصار مذكورًا[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾[3].

﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾: هو جنس بني آدم من غير خلاف؛ لأن آدم لم يخلق من نطفة.

﴿ مِن نُّطۡفَةٍ ﴾ أي من ماء يقطر وهو المنيّ، وكل ماء قليل في وعاء، فهو نطفة، وجمعها: نُطَف ونطاف.

﴿أَمۡشَاجٖ ﴾: أخلاط، واحدها «مَشَج» بفتحتين أو مشج كعدل وأعدال، أو مشيج كشريف وأشراف، ويقال: مَشَج يمشُج مشجًا إذا خلط، فمشيج كـ «خليط» ، وممشوج كـ «مخلوط» وهو وصف للنطفة، قال ابن مسعود: "الأمشاج هو العروق التي في النطفة"، وقال ابن عباس: "هو ماء الرجل وماء المرأة اختلطا في الرحم فخلق الإنسان منهما"، وقيل: "اختلاط النطفة بدم الحيض، فإذا حبلت ارتفع الحيض"، وقال ابن عباس أيضًا: "أمشاج منتقلة من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى غير ذلك إلى إنشائه إنسانًا"، وقيل: "هي ألوان النطفة"، وقيل: "أخلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، والنطفة أريد بها الجنس، فلذلك وصفت بالجمع"[4].

---

(١) سورة الزخرف ٤٣ الآية ٤٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١١٩، وفتح القدير للشوكاني ٥/ ٤١٥.

(٣) سورة الإنسان٧٦ الآية ٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير ١٠/ ٣٥٨، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، وتفسير ابن كثير =

﴿نَبْتَلِيهِ﴾ نختبره بالتكليف في الدنيا، وعن ابن عباس: "نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة"، فعلى هذا هي حال مصاحبة، وعلى أن المعنى نختبره بالتكليف فهي حال مقدرة؛ لأنه –تعالى– حين خلقه من نطفة لم يكن مبتليًا له بالتكليف في ذلك الوقت، وقال الزمخشري: "ويجوز أن يراد ناقلين له من حال إلى حال فسمي ذلك الابتلاء على طريق الاستعارة"[(١)]، وهذا معنى قول ابن عباس، وقيل:﴿نَبْتَلِيهِ﴾ بالإيجاد والكون في الدنيا، فهي حال مقارنة، وقيل: "في الكلام تقديم وتأخير"، والأصل: "فجعلناه سميعًا بصيرًا نبتليه"، أي جعله سميعًا بصيرًا هو الابتلاء، ولا حاجة إلى ادعاء التقديم والتأخير؛ لأنه من التعسف ، والمعنى يصح بخلافه، وامتن تعالى عليه بجعله بهاتين الصفتين، وهما كناية عن التمييز والفهم؛ إذ آلتهما سبب لذلك، وهما أشرف الحواس، تدرك بهما أعظم المدركات.

والمعنى: إنا خلقناه في هذه الأمشاج لا للعبث بل للابتلاء والامتحان، ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء، وهو السمع والبصر، وهما كنايتان عن الفهم والتمييز؛ لأن الابتلاء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة، والمعنى: جعلنا له سمعًا يسمع به الهدى، وبصرًا يبصر به الهدى كما قال تعالى حاكيًا عن إبراهيم –عليه السلام–: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [(٢)]، وقد يراد بالسميع المطيع، كقوله: «سَمْعًا وطَاعَةً» ، وبالبصير: العالم، يقال: لفلان بصر في هذا الأمر، وقيل: المراد بالسمع والبصر: الحاسَّتان المعروفتان، والله – تعالى – خصهما بالذكر؛ لأنهما أعظم الحواس وأشرفها[(٣)].

وأخبر الله تعالى أنه بعد أن ركّبه وأعطاه الحواس الظاهرة والباطنة؛ بين له سبيل الهدى وسبيل

٨/ ٢٨٥، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٧، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

(١)ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٦٦.

(٢)سورة مريم ١٩آية رقم ٤٢.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٧.

الضلال فقال: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ...﴾[1] أي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة، وعرفناه طريق الخير والشر، كما في قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[2]، وقيل معناه: "أرشدناه إلى الهدى"؛ لأنه لا يطلق اسم السبيل إلا عليه، والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل، وبعثه الرسل وإنزال الكتب[3].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ هنا معناه: خروجه من الرحم، وقيل: "منافعه ومضاره التي يهتدي إليها بطبعه وكمال عقله"، وانتصاب ﴿ شَاكِرًا ﴾ و﴿ كَفُورًا ﴾ على الحال من مفعول﴿ هَدَيْنَٰهُ ﴾أي مكناه من سلوك الطريق في حالتيه، وقيل: "على الحال من «سبيل» على المجاز"،أي عرفناه السبيل إما سبيلًا شاكرًا، وإما سبيلًا كفورًا، وقوله: ﴿ إِمَّا﴾:هي إن الشرطية زيدت بعدها «ما»، أي «بينا له الطريق إن شكر، وإن كفر»، ولم يجوِّز هذا القول بعض العلماء؛ لأن «إن» الشرطية لا تدخل على الأسماء إلا أن يضمر بعدها فعل، ولا يصح هنا إضمار الفعل؛ لأنه كان يلزم رفع ﴿ شَاكِرًا﴾ و﴿ كَفُورًا ﴾ ، ويمكن أن يضمر فعل ينصب شاكرًا وكفورًا، وتقديره: «إن خلقناه شاكرًا، فشكور وإن خلقناه كافرًا فكفور»، وقيل: "انتصب﴿ شَاكِرًا﴾ و﴿ كَفُورًا ﴾ بإضمار كان، والتقدير: «سواء كان شاكرًا أو كان كفورًا»"[4].

ثم بين أن الناس انقسموا في ذلك فريقين، فقال:﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي: فبعض اهتدى، وعرف حق النعمة فشكر، وبعض أعرض فكفر، وإجمال ذلك:- ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾؛ ليتميز شكره من كفره، وطاعته من معصيته، ونحو الآية قوله:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ

(١) سورة الإنسان٧٦ الآية٣.

(٢) سورة البلد ٩٠ الآية ١٠.

(٣) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٣٧٧.

(٤) ينظر: فتح القدير للشوكاني ٥/ ٤١٦.

وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾[١]،وقوله :﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ... ﴾[٢]،والسبيل: الطريق الجادة إلى ما فيه النفع بواسطة الرسل إلى العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة التي هي سبب فوزه بالنعيم الأبدي، وهداية السبيل: تمثيل لحال المرشد، بحال من يدل السائر على الطريق المؤدية إلى مقصده من سيره، فالله تعالى الهادي، والإنسان يشبه السائر المتحير في الطريق، وأعمال الدين تشبه الطريق، وفوز المتتبع لهدي الله يشبه البلوغ إلى المكان المطلوب، وفي هذا نداء على أن الله أرشد الإنسان إلى الحق، وأن بعض الناس أدخلوا على أنفسهم ضلال الاعتقاد ومفاسد الأعمال، فمن برأ نفسه من ذلك فهو الشاكر وغيره الكفور، وذلك تقسيم بحسب حال الناس في أول البعثة، ثم ظهر مَنْ خلطوا عملًا صالحًا وأخر سيئًا، وتأكيد الخبر بـــ «إن»؛ للرد على المشركين الذين يزعمون أن ما يدعوهم إليه القرآن باطل، والمعنى: "إنا هديناه السبيل في حال أنه متردد أمره بين أحد هذين الوصفين: وصف شاكر ووصف كفور، فأحد الوصفين على الترديد مقارن لحال إرشاده إلى السبيل، وهي مقارنة عرفية، أي عقب التبليغ والتأمل، فإن أخذ بالهدى كان شاكرًا وإن أعرض كان كفورًا كمن لم يأخذ بإرشاد من يهديه الطريق، فيؤخذ في طريق يلقى به السباع أو اللصوص، وبذلك تم التمثيل الذي في قوله:﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ...﴾ ، وأسلوب الآيات تقريري ينطوي على غرض عام، وفيها توكيد لما قرره القرآن في مواضع كثيرة من قابلية الإنسان للتمييز واختيار الطريق الذي يسير فيه ومسؤوليته عن هذا الاختيار[٣]، ولقد أورد ابن كثير-رحمه الله- في سياق الآيتين الأخيرتين حديثين: أولهما: عن سيدنا جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، فَإِذَا أَعْرَبَ عَنْهُ لِسَانُهُ، إِمَّا شَاكِرًا، وَإِمَّا كَفُورًا»[٤].

(١) سورة محمد٤٧ الآية ٣١.

(٢) سورة الملك٦٧ الآية ٢.

(٣) ينظر: تفسير المراغي ٢٩/ ١٦١، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٧٥.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٣/ ١١٣، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، حديث رقم ١٤٨٠٥.

وثانيهما: عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[1]، حيث ينطوي في الحديثين توضيح نبوي داعم للتوكيد الذي ينطوي في الآيات وغيرها من قابلية الإنسان للتمييز والاختيار ومسؤوليته عن ذلك[2].

المطلب السادس: ما ترشد إليه الآيات.

أولًا: تذكير الإنسان بأصل نشأته، فقد كان شيئًا منسيًا لا يفطن له.

ثانيًا: بيان نشأة الإنسان الأب والإنسان الابن، وما تدل عليه من إفضال الله وإكرامه لعباده.

ثالثًا: أنعم الله على الإنسان بنعمة الوجود، واختبره بالتكاليف الشرعية بعد أن متَّعه بنعمة العقل والحواس.

رابعًا: حاستا السمع والبصر وجودهما معًا أو وجود إحداهما ضروري للتكليف مع انضمام العقل إليهما.

خامسًا: بيان أن الإنسان أمامه طريقان، فيسلك أيهما شاء، وكل طريق ينتهي به إلى غاية، فطريق الرشد يوصل إلى الجنة دار النعيم، وطريق الغي يوصل إلى دار الشقاء الجحيم[3].

---

(١)أخرجه ابن ماجه في سننه ١/ ١٠٢ المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، كتاب الطهارة وسننها، باب الوضوء شطر الإيمان حديث رقم ٢٨٠. وسنن الترمذي ٤/ ٤١٩، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت سنة النشر: ١٩٩٨م، أبواب الدعوات حديث رقم ٣٦١٧، السنن الكبرى ١/ ٦٩، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ، المحقق: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، كتاب الطهارة باب فضل الطهور ومحله من الإيمان، حديث رقم ١٨٥.

(٢) ينظر: التفسير الحديث ٦/ ١٠٦، وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٨٦.

(٣) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ٥/ ٤٨٤، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، =

المبحث الثاني

الله يخاطب عباده بأسلوب الترغيب والترهيب

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ﴾(١).

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: المفردات اللغوية.

﴿أَعۡتَدۡنَا﴾ أي أعددنا، وأحضرنا، وهيأنا ، ﴿ سَلَٰسِلَا۠﴾ السلاسل هي: القيود المصنوعة من حِلَق الحديد يُقيَّد بها الجناة والأسرى، وتكون في الأيدي والأرجل، ﴿ وَأَغۡلَٰلٗا ﴾: جمع غُل بضم الغين، وهو حَلقة كبيرة من حديد توضع في رقبة المقيد، وتناط بها السلسلة، وهي الأطواق التي تكون في الأعناق، ﴿ وَسَعِيرًا﴾ السعير: النار المتسعرة بوقودها(٢).

﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ جمع البر: الأبرار، وجمع البار: البررة، وفلان يبرُّ خالقه، ويتبرره أي: يطيعه، والأم برة بولدها ، والبارّ: هو النقي الطاهر، الذي لم يغيّر من فطرته الطاهرة النقية شيء من كبير الذنوب أو صغيرها، والمقصود بالأبرار: المؤمنون الصادقون في إيمانهم المطيعون لربّهم، وقيل: هم الذين لا يؤذون الذر، ولا ينصبون الشرّ، وأحدهم بار، مثل شاهد وأشهاد، وناصر وأنصار، وصاحب وأصحاب، (٣).

﴿كَأۡسٖ﴾ الكأس في اللغة: الإناء فيه الشراب، وإذا لم يسمَّ كأسًا وقيل الكأس: "الزجاجة" إذا

١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، وصفوة التفاسير ٣/ ٤٦٧، المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(١) سورة الإنسان٧٦ الآيات: ٤-٦.

(٢) يراجع: التفسير القرآني للقرآن ١٥/ ١٣٥٤، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، دون ذكر الطبعة وسنة النشر، التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٧٧، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٦٢.

(٣) يراجع: الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٠/ ٩٥، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٧٧، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٥.

كانت فيها خمر، وتسمى الخمر نفسها: كأسًا، ولا يقال له كأس إلا إذا كان فيه شراب، فإذا كان فارغا سمّى قدحًا [١].

﴿مِزَاجُهَا﴾ "المزاج: ما يمزج به -كالحزام لما يحزم به- أي: يخلط، بماء الكافور، يقال: مزجه يمزجه مزجًا أي: خلطه يخلطه خلطًا، فالمزاج كالقِوام اسم لما يقاوم به الشيء، ومنه مزاج البدن: وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة، ﴿كَافُورًا﴾ الكافور: نبت طيّب الريح ، وقيل اسم عين في الجنة يمزج بها الخمر، وكأن اشتقاقه من الكفر وهو الستر؛ لأنه يغطي الأشياء برائحته، والكافور أيضًا كمائم الشجر التي يغطي ثمرتها"[٢].

﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾: "أي: يجرونها إلى منازلهم وقصورهم حيث شاءوا ﴿تَفْجِيرًا﴾ سهلاً لا يمتنع عليهم" [٣].

المطلب الثاني: الإعراب:

وجملة ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾: لا محلّ لها استئنافيّة في محلّ رفع خبر «إنّ»، ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ جار ومجرور متعلّق بـ﴿أَعْتَدْنَا﴾، و ﴿سَلَٰسِلَا۠﴾ مفعول به ومنع من التنوين؛ لأنه جمع على صيغة منتهى الجموع، وقرئ ﴿سَلَٰسِلَا۠﴾: بتنوينٍ لمجاورته ﴿وَأَغْلَٰلَا﴾، وقرئ من غير تنوين؛ لأنه ممنوع من الصرف، ﴿وَأَغْلَٰلَا وَسَعِيرًا﴾ معطوفان على ما قبلهما.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ إنَّ واسمها، ﴿يَشْرَبُونَ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، و ﴿مِن كَأْسٍ﴾ متعلّق بـ ﴿يَشْرَبُونَ﴾، والجملة الفعلية ﴿يَشْرَبُونَ﴾ خبر، ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ مستأنفة، و ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ كان واسمها وخبرها، والجملة صفة لـ﴿كَأْسٍ﴾.

---

(١) يراجع: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٧٧.

(٢) يراجع: بحر العلوم ٣/ ٥٢٦، وإعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٣١١، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٦، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٦٧، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٦٢.

(٣) يراجع: زاد المسير في علم التفسير ٤/ ٣٧٦، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٦٢، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/ ٥٧٧.

﴿ عَيۡنٗا ﴾ بدل من ﴿ كَافُورًا ﴾ مفعول به لعامل محذوف يقدر مضافًا أي: ماء عين ، والجملة بعده تفسيريّة ، ﴿ يَشۡرَبُ ﴾ مضارع مرفوع، ﴿ بِهَا ﴾ متعلّق بـ ﴿ يَشۡرَبُ ﴾ بتضمينه معنى يلتذّ أو يرتوي، أو من غير تضمين، إذا كان الضمير يعود على الكأس، أو هو متعلّق بحال من ﴿ عَيۡنٗا ﴾ إذا كانت علمًا بذاتها، وبعض المفسّرين جعلوا الباء زائدة أي: يشربها مستدلّين بإحدى القراءات بتعدية الفعل إلى الضمير بنفسه، ﴿ عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ فاعل مضاف إلى لفظ الجلالة، والجملة الفعلية صفة لقوله: ﴿ عَيۡنٗا ﴾، و ﴿ يُفَجِّرُونَهَا ﴾ فعل مضارع وفاعله ومفعوله، والجملة حال، و ﴿ تَفۡجِيرًا ﴾ مفعول مطلق، وجملة ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ في محلّ جرّ نعت لـ «كأس»، وجملة ﴿ يَشۡرَبُ بِهَا ...﴾ في محلّ نصب نعت لـ ﴿ عَيۡنٗا ﴾، وإذا كان الضمير في ﴿ بِهَا ﴾ يعود على الكأس فالجملة نعت ثان للكأس في محلّ جر، وجملة ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ﴾في محلّ نصب حال من فاعل يشرب[1].

المطلب الثالث: البلاغة.

﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ ... ﴾ لف ونشر مشوّش[2] فإنه تعالى قال: ﴿ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ، ثم

---

(١) يراجع: إعراب القرآن ٣/ ٤٠٦، المؤلف: أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم ، الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ ، والجدول في إعراب القرآن ٢٩/ ١٨٤، التبيان في إعراب القرآن الكريم ٢/ ١٢٥٨، المؤلف : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : ٦١٦هـ) ، المحقق: : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه دون ذكر لسنة النشر، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٦٣، والتفسير المنير للزحيلي ٢٩/ ٢٨٥.

(٢) اللف والنشر هو: عبارة عن ذكر الشيئين على جهة الاجتماع مطلقين عن التقييد، ثم يوفّى بما يليق بكل واحد منهما اتكالًا على أن السامع لوضوح الحال يرد إلى كل واحد منهما ما يليق به، وهو في الحقيقة جمع ثم تفريق، واشتقاقهما من قولهم: لف الثوب إذا جمعه، ونشر الثياب إذا فرقها، ومنه قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [الشورى: ٢٨] أي: يفرقها في عباده على قدر ما يعلمه من الصلاح، ومثاله قوله تعالى:﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧٣] فجمع =

أعاد بالذكر على الثاني دون الأول؛ ليتسع المجال لإطناب الكلام على صفة جزاء الشاكرين وما فيه من الخير والكرامة تقريبًا للموصوف من المشاهدة المحسوسة، وتأكيد الخبر عن جزاء الشاكرين لدفع إنكار المشركين أن يكون المؤمنون خيرًا منهم في عالم الخلود، ولإفادة الاهتمام بهذه البشارة بالنسبة إلى المؤمنين(١).

﴿كَأْسًا﴾ "وقد تسمى الخمر كأسا على وجه المجاز المرسل بهذا الاعتبار من باب تسمية الحال باسم المحل، وهو المراد هنا ، ويجوز أن يراد هنا آنية الخمر فتكون «من» للابتداء وإفراد «كأس» للنوعية، ويراد به هنا الجنس وتنوينه لتعظيمه في نوعه"(٢)

و﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ يراد بهم : الأبرار، وهو إظهار في مقام الإضمار للتنويه بهم بإضافة عبوديتهم إلى الله تعالى إضافة تشريف، ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ «التفجير» : فتح الأرض عن الماء أي: استنباط الماء الغزير، وأطلق هنا على الاستقاء منها بلا حد ولا نضوب، فكان كل واحد يفجر لنفسه ينبوعًا وهذا من الاستعارة، وأكد الفعل ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ بقوله: ﴿تَفْجِيرًا﴾ ترشيحًا للاستعارة(٣).

أولًا: بين ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ بواو العطف، ثم إنه بعد ذلك أضاف إلى كل واحد منهما ما يليق به، فأضاف السكون إلى الليل من جهة أن تصرف الخلق يقل ليلًا؛ لأجل ما يعتريهم من النوم، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أضافه إلى النهار، لأن ابتغاء الأرزاق إنما يكون نهارًا بالتصرف والاحتيال، واكتفى في البيان والتفصيل بما يظهر من قرينة الحال في معرفة حكم كل واحد منهما، ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٢/ ٢١٢، المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(١) يراجع: التفسير المنير للزحيلي ٢٩/ ٢٨٦، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٧٩، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٧/ ١٩٥ المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) ، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة.

(٢) يراجع: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٨٠، والتفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢١٨.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٨٢.

المطلب الرابع: القراءات.

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر عن عاصم والكسائي ﴿ سَلَٰسِلَا۠ ﴾ منونةً، وإذا وقفوا يقفون عليها بالألف، وقرأ ابن كثير ﴿ سَلَٰسِلَا۠ ﴾ بغير ألف، وصلَ أو وقفَ، وهذه رواية قنبل عنه، وقرأ خلف ﴿سَلَٰسِلَا۠ ﴾ بغير تنوين فيها، والوقف عليها بغير ألف، وقرأ حمزة ويعقوب ﴿ سَلَٰسِلَا۠ ﴾ بغير تنوين فيها، والوقف بغير ألف ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر، وحفص عن عاصم ﴿ سَلَٰسِلَا۠ ﴾ بغير تنوين أيضًا، ولكنهم يقفون على﴿ سَلَٰسِلَا۠ ﴾ بالألف(١).

والحجّة لمن قرأ ﴿ سَلَٰسِلَا۠ ﴾ بغير تنوين ؛ لأنه لا ينصرف، ولأنه جمع لا نظير له في الواحد، وهو نهاية الجمع فثقل فمنع الصرف ؛ لأنه جمع على وزن مفاعل، وقرئ بالصرف للمناسبة مع ﴿وَأَغۡلَٰلَا ﴾ ، وهي قراءة سبعية(٢)، فقد تحصّل من هذا: أن القراء على أربع مراتب، منهم من ينون وصلًا ، ويقف بالألف وقفًا بلا خلاف ، ومنهم من لم ينون، ويقف بالألف بلا خلاف، ومنهم من لم ينون، ويقف بالألف تارة وبدونها أخرى ، فهذا ضبط ذلك(٣).

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي.

بعد أن ذكر –سبحانه– أنه هدى الإنسان لطريق الخير وطريق الشر في قوله: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ

(١)يراجع: المبسوط في القراءات العشر ١/ ٤٥٤، المؤلف: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١هـ) ، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي ، الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق– عام النشر: ١٩٨١م، والحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٤٨، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) ، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي راجعه، ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق ، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م، وحجة القراءات ١/ ٧٣٧، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دون ذكر الناشر وسنة النشر.

(٢) يراجع: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٦٣.

(٣) يراجع: اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٣.

ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾[1]، ثم أردفه ببيان أن الناس انقسموا في ذلك فريقين: فريق وقفه الله وشكر، وفريق أضله الله وكفر، أعقب ذلك بما أعده لكل منهما يوم القيامة، فأعد للأولين سلاسل يقادون بها، وأغلالًا تجمع بها أيديهم إلى أعناقهم على سبيل الإذلال لهم، وهيأنا لهم- فوق ذلك- نارًا شديدة الاشتعال تحرق بها أجسادهم، فقال: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ ... ﴾.

وأعد للآخرين جنات ونعيمًا، فهم يشربون الخمر «وهى ألذ شراب لديهم» ممزوجة بماء عذب زلال، طيب الرائحة، تأتيهم إلى غرفهم متى شاءوا وكيف أرادوا[2].

فقال: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ ... ﴾ أي: إن المؤمنين الصادقين الذين أخلصوا لله- تعالى- الطاعة والعبادة والشكر؛ يكافئهم- سبحانه- على ذلك، بأن يجعلهم يوم القيامة في جنات عالية، ويتمتعون بالشراب من خمر، هذه الخمر كانت مخلوطة بالكافور الذي تنتعش له النفوس، وتحبه الأرواح والقلوب؛ لطيب رائحته، وجمال شكله.

﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ... ﴾ أي: عينًا يشرب من بعض مائها وخمرها عباد الله، وهم الأبرار، وعبر عنهم بذلك لتشريفهم وتكريمهم، حيث أضافهم- سبحانه- إلى ذاته، وقوله- سبحانه-: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴾ صفة أخرى للعين، أي: يسيرونها، ويجرونها إلى حيث يريدون، وينتفعون بها كما يشاءون، ويتبعهم ماؤها إلى كل مكان يتجهون إليه، فالتعبير بقوله: ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴾ إشارة إلى كثرتها وسعتها وسهولة حصولهم عليها[3].

(١) سورة البلد ٩٠ الآية ١٠.

(٢) يراجع: تفسير المراغي ٢٩/ ١٦٣.

(٣) يراجع: التفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢١٨-٢١٧.

المطلب السادس: التفسير والبيان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ﴾(١).

هذه الآيات شروع في بيان ما أعد الله لكل من سلك سبيل الرشد وسبيل الغي، فقال بادئًا بما أعد لمن سلك سبيل الغي موجزًا في بيان ما أعد لهم من عذاب، بخلاف ما أعد لسالكي سبيل الرشد؛ فإنه نعيم تفصيله محبوب والإطناب في بيانه مرغوب(٢).

وهي تتضمن النتائج التي تترتب على اختيار الناس لطريقهم بأسلوب إنذاري للجاحدين، وتطمين تبشيري للصالحين، فقد أعدّ الله للأولين السلاسل والقيود والنار، أما الآخرون فلهم النعيم والتكريم في الجنات والأشربة اللذيذة التي يكون مزيجها الكافور، والمتبادر أن مزج الشراب بالكافور مما كان مألوفًا عند المترفين ومرغوبًا فيه، فذكر ذلك جريًا على مألوف النظم القرآني في ذكر أوصاف العذاب والنعيم الأخروي بما اعتاده السامعون، مع واجب الإيمان بحقيقة الخبر القرآني الغيبي(٣).

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴾(٤). ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد، فبين حال الفريقين، وأنه تعبد العقلاء، وكلفهم، ومكنهم مما أمرهم، فمن كفر فله العقاب، ومن وحد وشكر فله الثواب(٥).

﴿أَعۡتَدۡنَا﴾: الاعتداد هو إعداد الشيء حتى يكون عتيدًا حاضرًا متى احتيج إليه، كقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٞ ﴾(٦)، وأما «السلاسل» فتشد بها أرجلهم، وأما «الأغلال» فتشد بها أيديهم إلى

(١) سورة الإنسان٧٦ الآيات: ٤-٦.

(٢) يراجع: أيسر التفاسير للجزائري ٥/ ٤٨٣.

(٣) يراجع: التفسير الحديث ٦/ ١٠٧.

(٤) سورة الإنسان٧٦ الآيات: ٤-٦.

(٥) يراجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٦٧، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٢٣.

(٦) سورة ق ٥٠ الآية ٢٣.

رقابهم، وأما «السعير» فهو النار التي تسعر عليهم فتوقد فيكونون حطبًا لها، وهذا من أغلظ أنواع الترهيب والتخويف، وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم؛ لأن الإنذار أهم وأنفع، وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن[1].

قرئ ﴿ سَلَٰسِلَاْ ﴾ بالتنوين، ومنهم من يصل بغير تنوين، ويقف بالألف فلمن نون وصرف فيه وجهان: أحدهما: أن من العرب من يصرف جميع ما لا ينصرف، وهو لغة الشعر، إلا أنهم اضطروا إليه في الشعر فصرفوه، فجرت على ألسنتهم كذلك، وثانيهما: أن هذا الجمع أشبه الآحاد، كما في الحديث: «إِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ »[2]، فلما جمعوه جمع الآحاد المنصرفة جعلوها في حكمها فصرفوها، وأما من ترك الصرف فإنه جعله كقوله تعالى: ﴿...لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ ﴾[3]،وأما إلحاق الألف في الوقف فهو كإلحاقها في قوله: ﴿ ٱلظُّنُونَاْ ﴾ و﴿ ٱلرَّسُولَاْ ﴾ و﴿ ٱلسَّبِيلَاْ ﴾[4] فيشبه ذلك

(١) يراجع: مفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٤٣، وتفسير تأويلات أهل السنة ١٠/ ٣٦١، و بحر العلوم ٣/ ٥٢٦، ولطائف الإشارات ٣/ ٦٦١، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٢٦٩.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٣/ ٥٩، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ) ، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت كتاب الإمام باب استخلاف الإمام الأعظم في المرض بعض رعيته حديث رقم ١٦٢٤، و ابن حبان في صحيحه – الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان – ١٥/ ٢٩٣، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي أبو حاتم الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م، كتاب التاريخ، باب ذكر خبر فيه كالدليل على أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبا بكر الصديق رضي الله عنه دون غيره من أصحابه، حديث رقم ٦٨٧٣.

(٣) سورة الحج ٢٢ الآية ٤٠.

(٤) سورة الأحزاب ٣٣ الآيات ١٠-٦٦-٦٧.

بالإطلاق في القوافي[١]، والأجود في العربية ألا يُصْرَف ﴿ سَلَٰسِلَا۠ ﴾ ، ولكن لما جُعِلَتْ رَأْسَ آيَةٍ صرفت ليكون آخر الآي على لفظٍ وَاحدٍ[٢].

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾[٣]، هذه الآية استئناف بياني ناشئ عن الاستئناف الذي قبله من قوله: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ ... ﴾[٤]، فإن من عرف ما أعد للكفور من الجزاء يتطلع إلى معرفة ما أعد للشاكر من الثواب، وأخّر تفصيله عن تفصيل جزاء الكفور مع أن ﴿شَاكِرًا﴾ مذكور قبل ﴿ كَفُورًا ﴾؛ ليتسع المجال لإطناب الكلام على صفة جزاء الشاكرين، وما فيه من الخير والكرامة؛ تقريبًا للموصوف من المشاهدة المحسوسة، وتأكيد الخبر عن جزاء الشاكرين لدفع إنكار المشركين أن يكون المؤمنون خيرًا منهم في عالم الخلود، ولإفادة الاهتمام بهذه البشارة بالنسبة إلى المؤمنين، و ﴿ ٱلْأَبْرَارَ ﴾: هم الشاكرون، عبر عنهم بالأبرار زيادة في الثناء عليهم[٥].

و ﴿ ٱلْأَبْرَارَ ﴾ هم أهل الصدق، واحدهم: «برّ»، وهو من امتثل أمر الله تعالى، وقيل: «البر»: الموحد، و ﴿ ٱلْأَبْرَارَ ﴾: جمع «بار» مثل: «شاهد وأشهاد» ، وقيل: هو جمع «بر» مثل: «نهر وأنهار» ، وجمع «البَر: الأبرار، وجمع البار: البررة، وفلان يبرُّ خالقه ويتبرره أي: يطيعه، والأم برة بولدها، وروى

(١) يراجع: مفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٤٣، التفسير الوسيط للواحدي ٤/ ٣٩٩، وباهر البرهان في معانى مشكلات القرآن ٣/ ١٥٩٩، المؤلف: محمود بن أبي الحسن علي بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي أبو القاسم الشهير بـ (بيان الحق) (المتوفى: بعد ٥٥٣هـ) ، المحقق: (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي ، الناشر: جامعة أم القرى – ،عام النشر: ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

(٢)يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢٥٨، المؤلف، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) ، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي ، الناشر: عالم الكتب – بيروت الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م، وتفسير السمعاني ٦/ ١١٤.

(٣) سورة الإنسان٧٦ الآية ٥.

(٤) سورة الإنسان٧٦ الآية ٤.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٧٩.

ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ ...»[١] ، وقيل: البَّر الذي لا يؤذي الذَّرَّ[٢].

و في ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ قولان: أحدهما: أنهم الصادقون، وثانيهما: المطيعون، و سُمّوا بذلك، أولًا: لأنهم برّوا الآباء والأبناء، ثانيًا: لأنهم كفوا الأذى، ثالثًا: لأنهم يؤدون حق الله ويوفون بالنذر[٣].

وقوله ﴿ مِن كَأۡسٖ﴾ يعني: الخمر فكل كأس في القرآن فإنما عنى به الخمر[٤]، والكأس في اللغة الِإناء إذا كان فيه الشرَابُ، فإذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كأسًا[٥].

﴿كَأۡسٖ﴾ الكأس: بالهمزة: الإناء المجعول للخمر، فلا يسمى كأسًا إلا إذا كان فيه خمر، وقد تسمى الخمر كأسًا على وجه المجاز المرسل بهذا الاعتبار، فيجوز أن يراد هنا آنية الخمر فتكون «من» للابتداء، وإفراد كأس للنوعية، ويراد به هنا الجنس، وتنوينه لتعظيمه في نوعه[٦].

﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ أي: يمزج لهم بالكافور، ويختم بالمسك، وإقحام فعل ﴿كَانَ﴾ في جملة الصفة بقوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ لإفادة أن ذلك مزاجها لا يفارقها إذ كان معتاد الناس في الدنيا ندرة ذلك المزاج لغلاء ثمنه وقلة وجدانه، و﴿مِزَاجُهَا﴾ أي: طعمها، وقيل رائحتها[٧]،والمزاج: بكسر الميم ما يمزج به غيره، أي: يخلط، يقال: مزجه يمزجه مزجًا أي: خلطه يخلطه خلطًا، فالمزاج كالقِوام: اسم لما يقاوم به الشيء، ومنه مزاج البدن: وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة[٨].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة ٤/ ١٩٧٩، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما.

(٢) يراجع: اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٥، و معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢٥٨، وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٨٧.

(٣) يراجع: النكت والعيون ٦/ ١٦٤، والهداية الى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٩٠٩.

((٤ ينظر: النكت والعيون ٦/ ١٦٤.

(٥) يراجع: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢٥٨، وجامع البيان ٢٤/ ٩٣، والهداية الى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٩٠٩.

(٦) يراجع: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٨٠.

(٧) يراجع: معالم التنزيل ٨/ ٢٩٣، والنكت والعيون ٦/ ١٦٤.

(٨) يراجع: اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٥.

فقيل إن المزاج هنا مراد به الماء، والإخبار عنه بأنه كافور من قبيل التشبيه البليغ، أي في اللون أو ذكاء الرائحة،وهذا المزاج من عين يشرب منها عباد الله المتقون، وهم في غرف الجنات، يسوقونها إليهم سوقًا سهلًا إلى حيث يريدون، وينتفعون بها كما يشاءون، ويتبعهم ماؤها إلى كل مكان يحبون وصوله إليه(١).

﴿كَافُورًا﴾ «الكافور» : طيب معروف، وكأن اشتقاقه من الكفر، وهو الستر؛ لأنه يغطي الأشياء برائحته (٢)، و قيل: إن الكافور اسم لعين ماء في الجنة، ومنهم من ذكر أن الكافور شيء أعده الله – تعالى- لأهل كرامته لم يطلع عباده على ذلك في الدنيا، ومنهم من ذكر أن الكافور شيء جرى ذكره في الكتب المتقدمة، فذكر كذلك في القرآن، ومنهم من قال: إنه عين من عيون الجنة، ومنهم من صرفه إلى الكافور المعروف، وقيل: إنه كناية عن طيب الشراب، وقيل: إنه كناية عن برودة الشراب؛ لأنه ذكر أن ذلك الشراب في طبعه كالكافور؛ لأن ألذ الشراب عند الناس البارد منه، لا أن يكون في نفسه باردًا، **وأولى الأقوال في وجهة نظري:** أن الكافور هو اسم لعين ماء في الجنة ، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة(٣).

فإن قلت: إن الكافور غير لذيذ، وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به؟، المراد به هنا بياضه، وطيب ريحه وبرده؛ لأن الكافور لا يشرب، والمعنى أن ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى كافورًا، ولا يكون في ذلك ضرر؛ لأن أهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون، وقيل: هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة، وليس ككافور الدنيا (٤).

---

(١) ينظر: تفسير المراغي ٢٩/ ١٦٤، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٣٨٠.

(٢) يراجع: اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٥، والنكت والعيون ٦/ ١٦٤.

(٣) يراجع: جامع البيان ٢٤/ ٩٣، والهداية الى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٩٠٩، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢٥٨، و تأويلات أهل السنة ١٠/ ٣٦١، ومعالم التنزيل ٨/ ٢٩٣، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٢٥ و تفسير ابن كثير ٨/ ٢٨٧.

(٤) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٣٧٧.

وقوله- سبحانه- ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾(١) بدل من قوله: ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ ؛ لأن ماءها في بياض الكافور وفي رائحته وبرودته، أي: أن الأبرار يشربون من كأس ماؤها ينبع من عين في الجنة، هذا الماء له بياض الكافور ورائحته وبرودته، وعدى فعل ﴿يَشْرَبُ ﴾ بالباء التي هي باء الإلصاق؛ لأن الكافور يمزج به شرابهم، أي: عينًا يشرب عباد الله ماءهم وخمرهم بها، أي: مصحوبًا بمائها وخمرها، ومنهم من جعل «الباء» هنا بمعنى «من» التبعيضية، أي: عينًا يشرب من بعض مائها وخمرها عباد الله، وهم الأبرار، وعبر عنهم بذلك لتشريفهم وتكريمهم، حيث أضافهم- سبحانه- إلى ذاته، فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولًا، وبحرف الإلصاق آخرًا؟، قلت: لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته، وأما العين فبها يمزجون شرابهم، فكأن المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل(٢).

والمراد بعباد الله في قوله: ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ يفيد أن كل عباد الله يشربون منها، والكفار بالاتفاق لا يشربون على أن لفظ عباد الله مختص بأهل الإيمان، وإذا ثبت هذا فقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾(٣) لا يتناول الكفار، بل يختص بالمؤمنين، فيصير تقدير الآية: لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وقوله- سبحانه-: ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ صفة أخرى للعين، أي: يسيرونها، ويجرونها إلى حيث يريدون، وينتفعون بها كما يشاءون، ويتبعهم ماؤها إلى كل مكان يتجهون إليه، فالتعبير بقوله: ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ إشارة إلى كثرتها وسعتها وسهولة حصولهم عليها.

يقال: فجّر فلان الماء، إذا أخرجه من الأرض بغزارة، ومنه قوله- تعالى- ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ

(١) سورة الإنسان٧٦ الآية: ٦.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٦٨، والتفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢١٨، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٢٧٠، وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٨٧.

(٣) سورة الزمر٣٩ الآية ٧.

لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾[١] ، واعلم أنه سبحانه لما وصف ثواب الأبرار في الآخرة شرح أعمالهم التي بها استوجبوا ذلك الثواب[٢].

المطلب السابع: ما ترشد إليه الآيات

أولًا: بيان أن الإنسان أمامه طريقان فيسلك أيهما شاء، وكل طريق ينتهي به إلى غاية فطريق الرشد يوصل إلى الجنة دار النعيم، وطريق الغي يوصل إلى دار الشقاء الجحيم.

ثانيًا: أهل الطاعة والإخلاص الذين يؤدون حق الله بالتزام فرائضه واجتناب معاصيه يشربون من خمر ممزوجة بكافور بارد أبيض طيب الرائحة.

ثالثًا: ذكر الله- سبحانه- أشياء في هذه السورة- من الكافور وغيره-؛ لتحريض العقلاء على الظفر في الآخرة بهذه المتع التي كانوا يشتهونها في الدنيا على سبيل تقريب الأمور لهم، وإلا فنعيم الآخرة لا يقاس في لذته ودوامه بالنسبة لنعيم الدنيا الفاني.

رابعًا: هذه الآيات من أعظم أنواع الترغيب والترهيب فبين الله عز وجل ما للفريقين فتوعد الكافر فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ ... ﴾ ، ووعد الشاكر الموحد فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ...﴾

خامسًا: بيّن الله –سبحانه– أنه تعبد العقلاء، وكلّفهم، ومكّنهم مما أمرهم، فمن كفر فله العقاب، ومن وحد وشكر فله الثَّواب[٣].

---

(١) سورة الإسراء ١٧ الآية ٩٠.

(٢) يراجع: اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٨، ومفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٤٤ ، والبحر المحيط ١٠/ ٣٦١.

والتفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢١٨، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٢٧٠، وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٨٧.

(٣) يراجع: لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٣٧٧، والتفسير المنير للزحيلي ٢٩/ ٢٨٨، وأيسر التفاسير للجزائري ٥/ ٤٨٤، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٥.

المبحث الثالث

الحديث عن الأبرار بشيء من التفصيل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾[1].

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: المفردات اللغوية

﴿ بِالنَّذْرِ ﴾ النذر هو العهد، و يطلق على كل ما أوجبه الإنسان على نفسه من فعل والوفاء به وإنفاذه حسب ما التزمته.

﴿مُسْتَطِيرًا﴾ منتشرًا فاشيًا في كل جهة.

﴿مِسْكِينًا﴾ المسكين هو من أسكنه فقره وحاجته، أو ذله حتى كان قليل الحركة.

﴿وَيَتِيمًا﴾ اليتم: التفرد، وهو هنا: من فقد أباه حتى أصبح وحيدًا بلا عائل[2].

﴿وَأَسِيرًا﴾ من أسر في حرب إسلامية مع الكفار، والأسير في ذلك الوقت كان من الكفار، وقد

(١) سورة الإنسان ٧٦ الآيات:٧-٢٢.

(٢) يراجع: تأويلات أهل السنة ١٠/ ٣٦٢، ، وجامع البيان ٢٣/ ٥٤٢، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٦٣.

مُدح من يطعم الأسير وهو كافر، فكيف بأسارى المسلمين.

﴿عَبُوسًا﴾ شديد الهول عظيم الخطر، وقيل هو الذي يعبس الوجه.

﴿قَمْطَرِيرًا﴾ شديدًا غليظًا ، يقال: يوم قمطرير، ويوم قماطر: إذا كان شديدًا غليظًا، يقال: اقمطرت الناقة: إذا رفعت ذنبها، وجمعت قطريها، ورمت بأنفها[1].

﴿وَلَقَّاهُمْ﴾ ألقى عليهم وأعطاهم.

﴿نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ حسنًا وفرحًا.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ الاتكاء: الجلوس بتمكن وراحة، وغالبًا يكون على شق واحد مع الاعتماد على وسادة.

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جمع أريكة، وهي السرير عليه الأستار والكلة:- الناموسية-

﴿زَمْهَرِيرًا﴾: بردًا قارسًا[2].

﴿وَذُلِّلَتْ﴾: سهلت حتى صارت في متناول الأيدي.

﴿قُطُوفُهَا﴾: جمع قطف، وهو العنقود ساعة يقطف.

﴿بِـَٔانِيَةٍ﴾ هي صحاف الطعام.

﴿وَأَكْوَابٍ﴾: جمع كوب: آنية الشراب، والكوب قدح مستدير الرأس لا عروة فيه ولا خرطوم.

﴿قَوَارِيرَا۠﴾ جمع قارورة، وهي الوعاء الزجاجي المعروف.

﴿زَنجَبِيلًا﴾نبات له طعم ورائحة جميلة.

﴿سَلْسَبِيلًا﴾ الشراب السهل المرور في الحلق لعذوبته، وهو أيضًا اسم عين في الجنة.

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢٥٨.

(٢) ينظر: التفسير الواضح ٣/ ٧٩٥.

﴿ سُندُسٍ﴾: السندس: ما رقّ من الحرير، ويكون أخضر وغير أخضر.

﴿ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ الإستبرق: ما غلظ من الديباج، فهو البطائن والسندس الظهائر.

﴿ وَحُلُّوٓاْ﴾ أي: ألبسوا حلية.

﴿شَرَابًا طَهُورًا ﴾ نقيًّا من الشوائب(١).

المطلب الثاني: الإعراب.

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ ...﴾ كلام مستأنف استئنافًا بيانيًّا كأنه قيل: بم استحقوا هذا النعيم؟ فقيل: ﴿يُوفُونَ...﴾ ، و ﴿ يُوفُونَ ﴾ فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل، و ﴿ بِٱلنَّذۡرِ ﴾ جار ومجرور متعلق بـ ﴿ يُوفُونَ ﴾، و ﴿يَوۡمَا﴾ مفعول به وجملة ﴿ كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرًا ﴾ صفة «ليوم»، و ﴿شَرُّهُۥ﴾ اسم كان، و ﴿مُسۡتَطِيرًا ﴾ خبرها.

﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ ...﴾ عطف على ﴿ يُوفُونَ ﴾، و ﴿ٱلطَّعَامَ ﴾ مفعول به، و ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ متعلق بمحذوف حال أي: محبين له، و«على» بمعنى «مع» أي للمصاحبة، و﴿ حُبِّهِۦ ﴾ مصدر أضيف للمفعول، وهو الضمير الذي يعود «للطعام» أي: مع اشتهائه والحاجة إليه، و ﴿ مِسۡكِينٗا﴾ مفعول به ثان، وما بعده ﴿وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾ عطف عليه.

﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ ...﴾ الجملة تعليل لبيان سبب الإطعام، و﴿إِنَّمَا﴾ كافّة ومكفوفة، و ﴿نُطۡعِمُكُمۡ﴾ فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره «نحن»، و ﴿لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ متعلق بـــ ﴿نُطۡعِمُكُمۡ﴾، وجملة ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴾ حالية، و ﴿نُرِيدُ﴾ فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره« نحن»، و ﴿مِنكُمۡ﴾ متعلق بـ﴿ نُرِيدُ ﴾، و ﴿جَزَآءٗ ﴾ مفعول به، ﴿وَلَا شُكُورًا ﴾ عطف عليه .

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا ...﴾ تعليل لقوله: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ﴾، وإن واسمها وجملة ﴿نَخَافُ﴾ خبرها،

(١) ينظر: التفسير الواضح ٣/ ٧٩٥، إعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٣٢١.

وفاعل ﴿نَخَافُ﴾ ضمير مستتر تقديره «نحن»، و ﴿مِن رَّبِّنَا﴾ متعلق بـــ ﴿نَخَافُ﴾، و ﴿يَوۡمًا﴾ مفعول به، و ﴿عَبُوسَا﴾ نعت، و ﴿قَمۡطَرِيرًا﴾ نعت ثان لـ ﴿يَوۡمًا﴾.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ الفاء عاطفة لبيان السبب أي: فبسبب خوفهم وقاهم الله أي دفع عنهم شرّ ذلك اليوم ووطأته، و«وقاهم» فعل ماض ومفعول به مقدّم، و ﴿ٱللَّهُ﴾ فاعل مؤخر، و«شر» مفعول به ثان، و«ذلك» مضاف إليه، و ﴿ٱلۡيَوۡمِ﴾ بدل من اسم الإشارة، ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾ فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، و ﴿نَضۡرَةً﴾ مفعول به ثان، ﴿وَسُرُورًا﴾ عطف على ﴿نَضۡرَةً﴾ (١).

﴿وَجَزَىٰهُم﴾ عطف أيضًا، ﴿وَجَزَىٰهُم﴾ فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به، و ﴿بِمَا﴾ متعلق بـ ﴿وَجَزَىٰهُم﴾، و«ما» مصدرية، أي: بصبرهم، و ﴿جَنَّةً﴾ مفعول به ثان، و﴿ وَحَرِيرًا﴾ عطف على ﴿جَنَّةً﴾.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال من مفعول ﴿وَجَزَىٰهُم﴾ و ﴿فِيهَا﴾ حال أي: في الجنة، و ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ متعلق بـ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾، وجملة ﴿لَا يَرَوۡنَ﴾ حال ثانية من مفعول ﴿وَجَزَىٰهُم﴾، ولك أن تجعلها حالًا من الضمير في ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ فتكون حالًا متداخلة، و ﴿فِيهَا﴾ متعلق بـ ﴿يَرَوۡنَ﴾، و ﴿شَمۡسًا﴾ مفعول به ﴿وَلَا زَمۡهَرِيرًا﴾ عطف على ﴿شَمۡسًا﴾.

﴿وَدَانِيَةً﴾ عطف على ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾، و ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ متعلق بـــ ﴿وَدَانِيَةً﴾ ، ولا بدّ من تضمين «على» معنى «من»؛ لأن الدنو لا يتعدى بـــ «على»، وإنما لم يقل «منهم»؛ لأن الظلال عالية عليهم، و«الواو» عاطفة، ﴿وَذُلِّلَتۡ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، وعطف على ﴿وَدَانِيَةً﴾، وإنما خولف بعطف الفعلية على الاسمية للإشارة إلى أن التظليل أمر دائم لا يزول؛ لأنها لا شمس فيها بخلاف التذليل فإنه

(١) يراجع: إعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٣١٦، الجدول في إعراب القرآن ٢٩/ ١٩٠، التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٥٩، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٦٤، البحر المحيط في التفسير ١٠/ ٣٥٧، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٧٠.

أمر متجدد طارئ، و﴿ قُطُوفُهَا ﴾ نائب فاعل، و ﴿تَذْلِيلًا﴾ مفعول مطلق.

﴿وَيُطَافُ...﴾ «الواو» عاطفة، ﴿وَيُطَافُ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، و ﴿عَلَيْهِم﴾ متعلق بـ ﴿وَيُطَافُ﴾، و﴿بِآنِيَةٍ﴾ نائب مفعول؛ لأنه هو المفعول به في المعنى، ويجوز أن تكون ﴿ عَلَيْهِم ﴾ هي النائبة، و﴿بِآنِيَةٍ﴾ متعلق بـ ﴿ وَيُطَافُ﴾، و ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ نعت لـ «آنية»، ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ عطف على «آنية» من عطف الخاص على العام، وجملة ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴾ نعت لـ «أكواب»، واسم ﴿كَانَتْ﴾ مستتر يعود على «الأكواب»، و ﴿ قَوَارِيرَا ﴾ خبر ﴿ كَانَتْ﴾، ويجوز أن تكون ﴿ كَانَتْ﴾ تامة فيكون﴿قَوَارِيرَا﴾ حالًا .

﴿ قَوَارِيرَا﴾ بدل من ﴿ قَوَارِيرَا﴾ الأولى، وقد منعت من الصرف ،﴿ مِن فِضَّةٍ﴾ نعت لـ ﴿قَوَارِيرَا﴾، وجملة ﴿ قَدَّرُوهَا ﴾ نعت ثان، و ﴿ تَقْدِيرًا﴾ مفعول مطلق[1] .

﴿ وَيُسْقَوْنَ ﴾ الواو عاطفة، ﴿ وَيُسْقَوْنَ﴾ فعل مضارع مبني للمجهول، و«الواو» نائب فاعل، و ﴿ فِيهَا﴾ متعلق بـ ﴿ وَيُسْقَوْنَ﴾، و ﴿ كَأْسًا﴾ مفعول به ثان، وجملة ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ صفة لـ ﴿ كَأْسًا﴾، و ﴿ مِزَاجُهَا﴾ اسم ﴿ كَانَ ﴾، و ﴿ زَنجَبِيلًا﴾ خبرها.

﴿ عَيْنًا ﴾ بدل من ﴿ زَنجَبِيلًا﴾، و ﴿ عَيْنًا﴾ على هذا القول مبدلة من ﴿ كَأْسًا﴾ أو منصوبة على الاختصاص، ولعلّ هذا هو الأرجح، وعلى كل حال تطبق عليها الأوجه المطبقة على ﴿ عَيْنًا﴾ الأولى، و ﴿ فِيهَا﴾ نعت لـ ﴿ عَيْنًا﴾، وجملة ﴿ تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ نعت ثان، ونائب الفاعل مستتر

(١) يراجع: إعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٣٢١. الجدول في إعراب القرآن ٢٩/ ١٩١، التبيان في إعراب القرآن ٢/ ١٢٦٠والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤١٠، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٧٠.

تقديره «هي»، و ﴿ سَلۡسَبِيلٗا﴾ مفعول به ثان[١].

﴿ وَيَطُوفُ﴾ الواو عاطفة، ﴿ وَيَطُوفُ﴾ فعل مضارع، و ﴿ عَلَيۡهِمۡ ﴾ متعلقان بـــ ﴿ وَيَطُوفُ﴾، و ﴿وِلۡدَٰنٞ ﴾ فاعل، و ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ نعت لـــ ﴿ وِلۡدَٰنٞ ﴾، و﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة ﴿رَأَيۡتَهُمۡ... ﴾ في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة ﴿ حَسِبۡتَهُمۡ ﴾ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، و ﴿ حَسِبۡتَهُمۡ﴾ فعل ماض وفاعل ومفعول به، و﴿ لُؤۡلُؤٗا﴾ مفعول به ثان، و﴿ مَّنثُورٗا﴾ نعت أي متفرقًا.

﴿ وَإِذَا﴾ الواو عاطفة، ﴿ وَإِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط، وجملة ﴿ رَأَيۡتَ في محل جر بإضافة الظرف إليه، ﴿ رَأَيۡتَ﴾ فعل وفاعل وليس له مفعول ظاهر ولا مقدّر لإشاعة الرؤية وتعميمها كأنه قيل: وإذا أوجدت الرؤية ﴿ ثَمَّ﴾ ، و ﴿ ثَمَّ﴾ ظرف مكان مختص بالعبد ، وجملة ﴿ رَأَيۡتَ﴾ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، و﴿ نَعِيمٗا﴾ مفعول ﴿ رَأَيۡتَ﴾ الثانية ﴿ وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ عطف على ﴿ نَعِيمٗا﴾ .

﴿ عَٰلِيَهُمۡ﴾: في إعرابه وجهان أحدهما: أنه ظرف مكان ؛ لأنه بمعنى «فوقهم» وثانيهما: -وهو الذي جرى عليه الأكثرون- أنه حال من الضمير في ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾، أو من مفعول ﴿ حَسِبۡتَهُمۡ﴾، ﴿ثِيَابُ﴾ فاعل لاسم الفاعل ﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾ ، ﴿ خُضۡرٞ﴾ نعت لـــ «ثياب» مرفوع، ﴿ وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ معطوف بالواو على «ثياب» مرفوع، ﴿وَحُلُّوٓاْ﴾ عطف على ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ ،وساغ عطف الماضي على المضارع؛ لأنه مستقبل المعنى، وللإيذان بتحقيقه، ﴿ وَحُلُّوٓاْ﴾ فعل ماض مبني للمجهول، و«الواو» نائب فاعل، و ﴿ أَسَاوِرَ﴾ مفعول به ثان، وقيل: نصب بنزع الخافض؛ لأنهم يعدّونه إلى

(١) يراجع: إعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٣٢٣ اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٩، البحر المحيط في التفسير ١٠/ ٣٥٧ ، والتفسير المنير للزحيلي ٢٩/ ٢٩٤.

واحد، و ﴿ مِن فِضَّةٍ ﴾ نعت لـــ﴿ أَسَاوِرَ ﴾، ﴿ وَسَقَىٰهُمْ ﴾ عطف على ﴿ وَحُلُّوٓاْ ﴾ ، و ﴿ رَبُّهُمْ ﴾ فاعل ، و ﴿ شَرَابًا ﴾ مفعول به ثان ، و ﴿ طَهُورًا ﴾ نعت لـ ﴿ شَرَابًا ﴾

﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ ... ﴾ الجملة مقول قول محذوف أي: يقال لأهل الجنة...، و ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ إن واسمها، وجملة ﴿ كَانَ... ﴾ خبرها، و ﴿ لَكُمْ ﴾ متعلق بـــ ﴿ جَزَآءً ﴾ ، واسم ﴿ كَانَ ﴾ مستتر تقديره «هو»، و﴿ جَزَآءً ﴾ خبرها، ﴿ وَكَانَ ﴾ عطف على ﴿ كَانَ ﴾ الأولى، و ﴿ سَعْيُكُم ﴾ اسمها، و ﴿ مَّشْكُورًا ﴾ خبرها [1].

المطلب الثالث: البلاغة.

﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾:خوفهم اليوم مجاز عقلي جرى في تعلق اليوم بالخوف؛ لأنهم إنما يخافون ما يجري في ذلك اليوم من الحساب والجزاء على الأعمال السيئة بالعقاب، فعلق فعل الخوف بزمان الأشياء المخوفة، و﴿مُسْتَطِيرًا ﴾: اسم فاعل من «استطار» ، والسين والتاء في استطار للمبالغة وأصله طار مثل استكبر، والطيران مجازي مستعار لانتشار الشيء وامتداده تشبيهًا له بانتشار الطير في الجو[2].

في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾: خصّ هؤلاء الثلاثة بالذكر؛ لأن المسكين عاجزٌ عن اكتساب قوته بنفسه، واليتيم مات أبواه، وهما اللذان يكتسبان، وبقي عاجزًا عن الكسب لصغره، والأسير لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا نصرًا ولا حيلةً [3].

ووصف اليوم بالعبوس في قوله تعالى: ﴿ يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ على معنى الاستعارة، فشبه اليوم

(١) يراجع: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٦٤ ، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٩، البحر المحيط في التفسير ١٠/ ٣٥٧ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤١٠، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٧٠.

(٢) يراجع: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٨٣، ومفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٤٦.

(٣) يراجع: إعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٣١٨.

الذي تحدث فيه حوادث تسوؤهم برجل يخالطهم يكون شرس الأخلاق عبوسًا في معاملته [١].

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾على طريقة اللف والنشر المعكوس، والداعي إلى عكس النشر مراعاة حسن تنسيق النظم؛ ليكون الانتقال من ذكر الإطعام إلى ما يقولونه للمطعمين، والانتقال من ذكر خوف يوم الحساب إلى بشارتهم بوقاية الله إياهم من شر ذلك اليوم، وما يلقونه فيه من النضرة والسرور والنعيم[٢].

وجملة: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ عطف على جملة ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ...﴾ ، وجملة ﴿وَلَقَّىٰهُمْ...﴾ ؛لتماثل الجمل الثلاث في الفعلية والمضي، وهما محسنان من محسنات الوصل، والمراد بـ«الشمس» قيل: هو حر أشعتها، فنفى رؤية الشمس في قوله: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ ، فيكون نفي رؤية الشمس كناية عن نفي وجود الشمس الذي يلزمه انتفاء حر شعاعها، فهو من الكناية التلويحية، وقيل: المراد بالشمس حقيقتها.

و المراد بـ«الزمهرير» البرد وإن في الكلام احتبًاكا، والتقدير: لا يرون فيها شمسًا ولا قمرًا ولا حرًا ولا زمهريرًا، وجعلوه مثالًا للاحتباك في المحسنات البديعية، ولعل المراد: أن نورها معتدل وهواءها معتدل [٣].

﴿ قُطُوفُهَا﴾ القطوف: جمع قطف بكسر القاف وسكون الطاء، وهو العنقود من التمر أو العنب، سمي قطفًا بصيغة من صيغ المفعول مثل ذبح؛ لأنه يقصد قطفه، فإطلاق القطف عليه مجاز باعتبار المآل شاع في الكلام، وذكر الآنية بعد الـ ﴿ كَأْسٍ﴾من قوله:﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا

(١) يراجع: الجدول في إعراب القرآن ٢٩/ ١٨٦، وإعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٣١٧، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٦٩.

(٢) يراجع: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٨٦.

(٣) يراجع: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٨٨- ٣٨٩- ٣٩٠ .

كَافُورًا ﴾[1] من ذكر العام بعد الخاص[2].

والفعل ﴿ كَانَتْ ﴾ هنا تشبيه بليغ، والمعنى: إنها مثل الـ﴿ قَوَارِيرَا ﴾ في شفيفها، وقرينة ذلك قوله: ﴿ مِّن فِضَّةٍ ﴾ ، أي هي من جنس الفضة في لون القوارير؛ لأن قوله: ﴿ مِّن فِضَّةٍ ﴾ حقيقة فإنه قال قبله ﴿بِءَانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ ﴾ ، وشبهوا بـ «اللؤلؤ المنثور» تشبيهًا مقيدًا فيه المشبه بحال خاص؛ لأنهم شبهوا به في حسن المنظر مع التفرق، وتركيب ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ ﴾ مفيد للتشبيه المراد به التشابه[3].

﴿ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم بـــ «اللؤلؤ المنثور» وقيل: شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه؛ لأنه أحسن وأكثر ماء[4].

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ هذا احتراس[5] مما يوهمه شـــربهم من الكأس الممزوجة بالكافور والزنجبيل من أن يكون فيها ما في أمثالها المعروفة في الدنيا، ومن الغول وســـوء القول

(١) سورة الإنسان٧٦ الآيات: ٤-٦.

(٢) يراجع: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٩٢- ٣٩٣.

(٣) يراجع: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٩٧-٤٠٠.

(٤) يراجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٧٢.

(٥) الاحتراس هو: أن يكون الكلام محتملًا لشيء بعيد فيؤتى بما يدفع ذلك الاحتمال، والفرق بين الاحتراس،والتكميل والتتميم أن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه ، والتتميم يأتي ليتمم نقص المعنى ، والاحتراس لاحتمال دخل على المعنى، وقد جعل ابن رشيق الاحتراس نوعًا من التتميم، وسوى بينهما، وقد ظهر الفرق بينهما، فجعلهما في باب واحد غير سائغ، ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ١/ ٢٤٥، المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ) تقديم و تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف ، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، والبرهان في علوم القرآن ٣/ ٦٤، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م، ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

والهذيان، فعبر عن ذلك بكون شـرابهم طهورًا بصـيغة المبالغة في الطهارة، وهي النزاهة من الخبائث، أي منزها عما في غيره من الخباثة والفساد، وعطف على ذلك قوله: ﴿ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴾ علاوة على إيناسـهم بأن ما أغدق عليهم كان جزاء لهم على ما فعلوا بأن سـعيهم الذي كان النعيم جزاء عليه هو سـعي مشـكور، أي مشـكور سـاعيه، فأسـند المشـكور إلى السـعي على طريقة المجاز العقلي مثل قولهم: سـيل مفعم، و﴿ شَمۡسًا وَلَا زَمۡهَرِيرًا ﴾ بينهما طباق، و﴿ زَمۡهَرِيرًا ﴾ و ﴿ قَوَارِيرَا۠ ﴾ و ﴿تَقۡدِيرًا ﴾و ﴿ مَّنثُورًا ﴾و﴿ كَبِيرًا ﴾ و﴿ طَهُورًا ﴾و ﴿ مَّشۡكُورًا ﴾ سـجع مرصـع، أي: مراعاة الفواصل[1].

المطلب الرابع: القراءات .

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر عن عاصم والكسائي ﴿كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۠﴾ منونتين ، وإذا وقفوا وقفوا بالألف عليهما، وقرأ ابن كثير وخلف ﴿قَوَارِيرَا۠﴾الثانية بغير تنوين فيها، والوقف عليها بغير ألف، ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الأولى بالتنوين، والوقف عليه بالألف، وقرأ حمزة ويعقوب ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ بغير تنوين في الاثنتين، والوقف بغير ألف عليهما، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصـم،﴿ قَوَارِيرَا۠ ﴿قَوَارِيرَا۠ ﴾ بغير تنوين أيضًـا، ولكنهم يقفون على ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الأولى بالألف، وعلى ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الثانية بغير ألف، وشـجاع عن أبي عمرو يقف على ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الأولى بالألف وعلى ﴿قَوَارِيرَا۠﴾ الثانية بغير ألف[2].

قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ﴾ سـاكنة الياء، ففيها أوجه: **أظهرها:** أن تكون خبرًا مقدمًا، و ﴿ثِيَابُ﴾ مبتدأ مؤخر، **والثاني:** أن ﴿عَٰلِيَهُمۡ ﴾ مبتدأ ، و ﴿ثِيَابُ﴾ مرفوع على جهة الفاعلية، وإن لم يعتمد الوصف، وهذا قول الأخفش، **والثالث:** أن ﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾منصوب، وإنما سكن تخفيفًا.

وقرأ الباقون ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ بفتح الياء، ففيها أوجه، **الأول:** أنه ظرف وهو خبر مقدم، و ﴿ثِيَابُ﴾

(١)يراجع: التفسير المنير للزحيلي ٢٩/ ٢٩٤، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٤٠١.

(٢) يراجع: الحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٥٧، والسبعة في القراءات ١/ ٦٦٤، المبسوط في القراءات العشر ١/ ٤٥٤.

مبتدأ مؤخر الثاني: أنه حال من الضمير في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾، الثالث: أنه حال من مفعول ﴿حَسِبۡتَهُمۡ﴾، الرابع: أنه حال من مضاف مقدر، أي: «رأيت أهل نعيم وملك كبير عاليهم»، فـ ﴿عَلِيَهُمۡ﴾ «حال من «أهل» المقدر[1].

وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ﴾ بالضم، ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ بالخفض، وقرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم، ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ﴾ بالخفض، و ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾بالرفع، وقرأ نافع وحفص عن عاصم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ بالرفع فيهما، وقرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ بالخفض فيهما[2].

فأما القراءة الأولى: فإن رفع ﴿خُضۡرٞ﴾ على النعت لـ ﴿ثِيَابُ﴾ ، ورفع ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ نسقًا على الثياب، ولكن على حذف مضاف، أي: وثياب إستبرق، وأما القراءة الثانية فيكون جر ﴿خُضۡرٞ﴾ على النعت لـ ﴿سُندُسٍ﴾ ، وجر ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ نسقًا على ﴿سُندُسٍ﴾ ؛ لأن المعنى: ثياب من سندس، وثياب من إستبرق.

وأما القراءة الثالثة فرفع ﴿خُضۡرٞ﴾ نعتًا لـ ﴿ثِيَابُ﴾ ، وجر ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ نسقًا على ﴿سُندُسٍ﴾ ، أي: ثياب خضر من سندس ومن إستبرق، فعلى هذا يكون الإستبرق أيضًا أخضر، وأما القراءة الرابعة فجر ﴿خُضۡرٞ﴾على أنه نعت لـ ﴿سُندُسٍ﴾ ، ورفع ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ على النسق على ﴿ثِيَابُ﴾ بحذف مضاف، أي: وثياب إستبرق[3].

---

(١)يراجع: المبسوط في القراءات العشر ١/ ٤٥٤، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ،١٠/ ٦١٥، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٧٣.

(٢) يراجع: الحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٥٧، والمبسوط في القراءات العشر ١/ ٤٥٤ والسبعة في القراءات ١/ ٦٦٤.

(٣) يراجع: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ١٠/ ٦١٩، والحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٤٨، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٣٣، والتحرير والتنوير ٢٩/ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٦٦، والسبعة في القراءات ١/ ٦٦٤.

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي.

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ ...﴾ ، هذا من صفاتهم في الدنيا أي: كانوا في الدنيا كذلك، والمراد : يوفون بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيرها من الواجبات، ومعنى النذر الإيجاب أي: إذا نذروا طاعة لله وفُّوا بها، ﴿وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ أي: يومًا كان شره فاشيًا منتشرًا بالغًا أقصى المبالغ.

﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: على حب الطعام وقلته وشهوتهم له وحاجتهم إليه، وقيل: على حب الله، ﴿مِسۡكِينٗا﴾ فقيرًا لا مال له، ﴿وَيَتِيمٗا﴾ صغيرًا لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ قيل : هو المسجون من أهل القبلة، وقيل: الأسير المملوك، وقيل المرأة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ المعنى: يقولون لهم عند الإطعام، وهذا إما أن يكون المطعم يقول ذلك نصًا فحكي ذلك، وإما أن يكون ذلك مما يقال في الأنفس وبالنية فمدح بذلك، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ فلذلك نحسن إليكم ، ولا نطلب المكافأة منكم، ﴿يَوۡمٗا﴾ أي: عذاب يوم، ﴿عَبُوسٗا﴾ تعبس فيه الوجوه، أو يشبه الأسد العبوس في ضراوته، ﴿قَمۡطَرِيرٗا﴾ شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه .

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ أي: صانهم من شدائده، ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ﴾أعطاهم بدل عبوس الفجار ﴿نَضۡرَةٗ﴾ حسنًا في الوجوه ﴿وَسُرُورٗا﴾ فرحًا في القلوب، ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾ بصبرهم على الإيثار، ﴿جَنَّةٗ﴾ أي: بستانًا فيه مأكل هنيء، ﴿وَحَرِيرٗا﴾ أي: ملبسًا بهيًا[1].

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهي السرر ﴿لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾ يعني: لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم في الدنيا، والزمهرير أشد

(١) يراجع: معالم التنزيل ٥/ ١٩٠، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٦٨، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤١١.

البرد ، ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ أي: قريبة منهم ظلال أشجارها، ﴿وَذُلِّلَتْ﴾ أي: سخرت وقربت، ﴿قُطُوفُهَا﴾أي: ثمارها ﴿تَذْلِيلًا﴾ أي: يأكلون من ثمارها قيامًا وقعودًا ومضطجعين، ويتناولونها كيف شاؤوا، وعلى أي حال أرادوا(١).

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ... ﴾، أي: ومن نعيم الأبرار في الجنة أنه يطاف عليهم فيها بأوان من فضة قد ملئت بألوان النعيم، من مأكول ومشروب، كما يطاف عليهم بأكواب لم ترها عين في الحياة الدنيا، فهي أكواب من فضة، ولكنها مثل الزجاج، حتى ليحسبها الرائي قوارير، أي زجاجًا، وقوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: أنهم جعلوها بمقادير وأحجام مقدرة بحسب طلب كل طالب، وأنهم إذا رغبوا في الشراب انتصبت في الحال بين أيديهم تلك الأكواب فكانت على قدر ما رغبوا، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ ومما يساق إلى الأبرار من نعيم أنهم يسقون في هذه الأكواب- التي أصبحت بالشراب كأسًا- كأسًا قد امتزج فيها طعم الزنجبيل بمذاق الخمر.

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ ، ويسقون- أيضا- من عين فيها- أي: في الجنة- تسمى سلسبيلا، وذلك لسلاسة مائها ولذته وعذوبته وسهولة نزوله إلى الحلق، ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ... ﴾ أي: ويطوف على هؤلاء الأبرار ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: دائمون على ما هم عليه من النضارة والشباب، ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾- أيها المخاطب ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أي: حسبتهم من حسنهم وصفاء ألوانهم ونضارة وجوههم.. لؤلؤًا ودرًا مفرقًا في جنبات المجالس وأوسطها.

ويقول تعالى لرسوله محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: هناك في الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ لا يوصف، ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ لا يقادر قدره، ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ يخبر تعالى

(١) يراجع: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٢٧٠، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/ ٥٧٨، ولباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٣٧٩.

أن عاليهم أي: فوقهم ثياب سندس أي حرير خضر واستبرق وهو ما غلظ من الديباج، وثياب من إستبرق بعضها بطائن، وبعضها ظهائر، وقوله تعالى:﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: وحلاهم ربهم وهم في دار كرامته أساور من فضة ومن ذهب أيضًا، ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ هذا غير ما ذكر فيما تقدم، وهذا إكرام خاص، وهو أن الله تعالى هو الذي يسقيهم، وأن هذا الشراب بلغ مبلغًا عظيمًا في الطهارة لوصفه بالطهور، ويقال لهم تكريمًا لهم وتشويقًا لغيرهم من أهل الدنيا الذين يسمعون هذا الخطاب التكريمي: إن هذا النعيم من جنات وعيون وأرائك وغلمان وطعام وشراب ولباس وما إلى ذلك ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ﴾على إيمانكم وتقواكم، ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم﴾ أي: عملكم في الدنيا ﴿مَّشۡكُورًا﴾ أي: مرضيًّا مقبولًا[1].

المطلب السادس: التفسير والبيان.

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾، في هذه الآية ذكر لبعض أعمال الأبرار الصالحة التي هي من آثار الإيمان، والكلام إخبار عنهم صادر في وقت نزول هذه الآيات، بعضه وصف لحالهم في الآخرة، وبعضه وصف لبعض حالهم في الدنيا الموجب لنوال ما نالوه في الآخرة، وليس وفاؤهم بالنذر هنا حاصلًا في وقت شربهم من خمر الجنة بل هو بما أسلفوه في الحياة الدنيا.

﴿يُوفُونَ﴾الوفاء: أداء ما وجب على المؤدي وافيًا دون نقص ولا تقصير فيه، ﴿ بِٱلنَّذۡرِ﴾ النذر: ما يعتزمه المرء ويعقد عليه نيته، والمراد به هنا ما عقدوا عليه عزمهم من الإيمان والامتثال وهو ما استحقوا به صفة الأبرار، ويجوز أن يراد بـ «النذر» ما ينذرونه من فعل الخير المتقرب به إلى الله، وجيء بصيغة المضارع للدلالة على تجدد وفائهم بما عقدوا عليه ضمائرهم من الإيمان والعمل الصالح، والتعريف في «النذر» تعريف الجنس فهو يعم كل نذر، وعَطف على قوله: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ قوله: ﴿ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ ؛ لأنهم لما وصفوا بالعمل بما ينذرونه أتبع ذلك بذكر

(١) يراجع: التفسير القرآني للقرآن ١٥/ ١٣٦٨، والتفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢٢٣، وأيسر التفاسير للجزائري ٥/ ٤٨٧.

حسن نيتهم وتحقق إخلاصهم في أعمالهم؛ لأن الأعمال بالنيات، فجمع لهم بهذا صحة الاعتقاد وحسن الأعمال، ﴿وَيَخَافُونَ﴾ المراد بالخوف هنا :خوفهم في الدنيا من ذنوب تجر إليهم العقاب في ذلك اليوم، وليس المراد أنهم يخافون في ذلك اليوم فإنهم في ذلك اليوم آمنون.

ووصف اليوم بأن ﴿شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ وصفًا مشعرًا بعلة خوفهم إياه، فالمعنى: أنهم يخافون شر ذلك اليوم فيتجنبون ما يفضي بهم إلى شره من الأعمال المتوعد عليها بالعقاب، ﴿شَرُّهُۥ﴾ والشر: العذاب والجزاء بالسوء، و﴿مُسْتَطِيرًا﴾ المستطير: هو اسم فاعل من استطار، والسين والتاء في استطار للمبالغة وأصله طار مثل استكبر، وذكر فعل ﴿كَانَ﴾ للدلالة على تمكن الخبر من المخبر عنه، وإلا فإن شر ذلك اليوم ليس واقعًا في الماضي، وإنما يقع بعد مستقبل بعيد، ويجوز أن يجعل ذلك من التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيهًا على تحقق وقوعه، وصيغة « يخافون » دالة على تجدد خوفهم من شر ذلك اليوم [1].

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ ....﴾ أي: يطعمون هؤلاء -الثلاثة الأصناف- الطعام على حبه لديهم وقلته عندهم، وقوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ في محل نصب على الحال، أي: كائنين على حبه، ومثله قوله: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[2]، وقيل: على حب الإطعام لرغبتهم في الخير، وقيل: الضمير في ﴿ حُبِّهِۦ﴾ يرجع إلى الله، أي: يطعمون الطعام على حب الله، أي: يطعمون إطعامًا كائنًا على حب الله، ويؤيد هذا قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ...﴾.

﴿ مِسْكِينًا﴾ المسكين: ذو المسكنة، وهو الفقير، أو من هو أفقر من الفقير، ﴿وَيَتِيمًا ﴾المراد باليتيم يتامى المسلمين، ﴿ وَأَسِيرًا﴾ «الأسير»: الذي يؤسر فيحبس، وقيل: «الأسير»: المحبوس. وقيل: «الأسير»: العبد، وقيل «الأسير»: المرأة، ، وإطعام المسكين واليتيم على التطوع، وإطعام

(١)يراجع: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٨٣- ٣٨٢.

(٢) سورة آل عمران ٣ الآية ٩٢.

الأسير لحفظ نفسه.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ على إرادة القول، ويجوز أن يكون قولًا باللسان منعًا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر؛ لأن إحسانهم مفعول لوجه الله، فلا معنى لمكافأة الخلق، وأن يكون قولهم لهم لطفًا وتفقيهًا وتنبيهًا على ما ينبغي أن يكون عليه من أخلص لله، ويجوز أن يكون ذلك بيانًا وكشفًا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئًا، و«الشكور»: مصدر الشكر، وهو على وزن الدخول والخروج، وإن شئت جعلت الشكور جماعة الشكر لقوله تعالى: ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[1] مثل برد وبرود، وإن شئت جعلته مصدرًا واحدًا في معنى جمع مثل قعد قعودًا وخرج خروجًا[2].

قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ يحتمل أن يكون المعنى: إن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم، وإنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة، ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين: أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء، كقولهم: نهارك صائم، وأن يشبه في شدته وضرره بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل، والقمطرير: الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه[3].

عندما تحدث الله-عز وجل- عن أعمال الأبرار وإخلاصهم ذكر ما سيجزيهم على ذلك، وأكد تحقيق الوعد بأنه عبر عنه بصيغة الماضي قائلا: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ أي: مكروهه، فإن كل ما يشق على النفس وتكرهه فهو شر بالإضافة إليها، ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾: أعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ في الوجوه ﴿وَسُرُورًا﴾ في القلوب بدل عبوس الكفرة وحزنهم، وهذه كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨﴾

(١) سورة الإسراء ١٧ الآية 99.

(٢) يراجع: فتح القدير للشوكاني ٥/ ٤١٩، والجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٢٨، والنكت والعيون ٦/ ١٦٦.

(٣) يراجع: مفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٤٨، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٦٨، ومعالم التنزيل ٥/ ١٩٢، واللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٢، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤١١.

ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾[١] ، وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه[٢]، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل: «كَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ»[٣]،«وعَن عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دَخَلَ عَلَيْهَا مَسْرُورًا، تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ» [٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾ إشارة إلى أن جزاءهم هذا الجزاء الطيب إنما كان بصبرهم في الدنيا على أعباء التكاليف، وأداء الواجبات، فالطاعات والأعمال الصالحة كلها لا تؤدّى إلا بمجاهدة النفس، ومغالبة الهوى، وبسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم ﴿جَنَّةً﴾ أي: منزلًا رحبًا وعيشًا رغيدًا وبستانًا فيه مأكل هنيّ، ﴿وَحَرِيرًا﴾ أي: لباسًا حسنًا له منظر بهيّ[٥]،قال الزمخشري -رحمه الله تعالى-: "فإن قلت: ما معنى ذكر الحرير مع الجنة؟ قلت: المعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدّى إليه من الجوع والعَرَى بستانًا فيه مأكل هنيّ، وحريرًا فيه ملبس بهيّ"[٦].

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ ...﴾ حال من الضمير المنصوب في ﴿ وَجَزَىٰهُم ﴾ وهو الهاء والميم، والمعنى وجزاهم جنة في حال اتكائهم، و ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ السرر المستورة بالحجال، والحجلة بفتحتين وبتقديم الحاء المهملة على الجيم: كلة تنصب فوق السرير لتقي الحر والشمس- تشبه الناموسية-، وقيل: كل

(١) سورة عبس ٨٠ الآيتان ٣٨-٣٩.

(٢)ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/ ٤١٤ ، وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٩٦.

(٣) أخرجه البخاري ٤/ ١٨٩، كتاب المناقب باب صفة النبي -صلى الله عليه وسلم حديث رقم ٣٥٥٦، ومسلم ٤/ ٢١٢٠، كتاب التوبة، باب توبة كعب بن مالك وصحابيه، حديث رقم ٥٣.

(٤) أخرجه البخاري ٨/ ١٥٧، كتاب الفرائض باب القائف حديث رقم ٦٧٧٠، ومسلم ٢/ ١٠٨١، كتاب الرضاع باب العمل بإلحاق القائف الولد حديث رقم ٣٨.

(٥) يراجع: التفسير القرآني للقرآن ١٥/ ١٣٦٥، وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٩٧، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/ ٤١٤.

(٦) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٧٠.

ما يتوسد ويفترش مما له حشو فهو أريكة وإن لم يكن في حجلة، وقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ المعنى أن هواءها معتدل، لا حرّ شمس يحمى، ولا شدّة برد تؤذى، ﴿زَمْهَرِيرًا﴾ «الزمهرير» : هو أشد البرد، وقيل: بلغة طيّىء القمر أي: الجنة مضيئة لا يُحتاج فيها إلى شمس ولا قمر [١].

وانتصاب ﴿وَدَانِيَةً﴾ عطفا على ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ ؛ لأن هذا حال سببي من أحوال «المتكئين»: أي ظلال شجر الجنة قريبة منهم، و ﴿ظِلَٰلُهَا﴾ فاعل «دانية» ، وضمير ﴿ظِلَٰلُهَا﴾ عائد إلى جنة أو إلى ظلالها باعتبار الظلال كناية عن الأشجار ، أي: إن ظلال أشجار الجنة قريبة من الأبرار مظلة عليهم، وهذا زيادة في نعيمهم، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي: سخرت للقائم والقاعد والمتكئ، وعن البراء بن عازب قال: «إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قيامًا وقعودًا ومضطجعين وعلى أي حال شاءوا»[٢]، ﴿قُطُوفُهَا﴾ «القطوف»: جمع قِطْف بكسر القاف وسكون الطاء وهو العنقود من التمر أو العنب، وسمي قطفًا بصيغة من صيغ المفعول مثل ذبح؛ لأنه يقصد قطفه، فإطلاق القطف عليه مجاز باعتبار المآل شاع في الكلام، و﴿تَذْلِيلًا﴾ مصدر مؤكد لذلك، أي: تذليلًا شديدًا منتهيًا[٣].

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم ...﴾أي: ويُطاف على هؤلاء الأبرار بآنية من الأواني التي يشربون فيها شرابهم، وهي ﴿مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ فجعلها هنا فضة، وهي في الحقيقة في صفاء القوارير، فهي لها بياض الفضة وصفاء الزجاج، ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ قال: ليس لها آذان، وهو قول أكثر المفسرين، وقال مجاهد: الأكواب: الأقداح، وقوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ يقول: كانت هذه الأواني والأكواب قوارير، فحوّلها الله

(١) يراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ٤١١، ومفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٥٠، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٧٠.

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ٨/ ٦٨٥، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، والدر المنثور ٨/ ٣٧٤ .

(٣) يراجع: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٩٠، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٦٨.

فضة، وقيل: إنما قيل: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم ...﴾ ، ليدلّ بذلك على أن أرض الجنة فضة؛ لأن كل آنية تُتَّخذ فإنما تُتَّخذ من تُرْبة الأرض التي فيها، فدلّ -جلّ ثناؤه- بوصفه الآنية متى يطاف بها على أهل الجنة أنها من فضة؛ ليعلم عباده أن تربة أرض الجنة فضة.

ومعنى ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ ﴾ أصل القوارير التي في الدنيا من الرمل، فأعلم الله أن فضل تلك القوارير أن أصلها من فضة يرى من خارجها ما في داخلها، ومعنى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ ،أي: جعلت بكون الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه، وقرئت «قَدرُوها تقديرًا»، أي: جعلت لهم على قدر إرادتهم، وقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: قدروا تلك الأواني على قدر رِيِّهم، لا تزيد ولا تنقص في ذلك، والمعنى: قدرها لهم السقاة الذين يطوفون عليهم بها، فلذلك نسب إليهم، وقيل: معناه: وجدوها كذا، فنسب الفعل إليهم لمناولتهم إياها لهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا...﴾أي: ويسقى هؤلاء الأبرار في الجنة شراب ﴿ كَأْسًا﴾، الكأس: كل إناء فيه شراب، فإذا كان فارغًا من الخمر لم يُقَلْ له كأس، ويقال له قدح، كذلك لا يقال للخِوان: مائدة حتى يكون عليه الطعام، ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ أي: كان مزاج شراب الكأس زنجبيلًا، أي: «تمزج بالزنجبيل »، و الزنجبيل: اسم للعين يشرب منها المقربون صرفًا، وتمزج لسائر أهل الجنة، والعرب تضرب المثل بالخمر إذا مزجته بالزنجبيل، وكانوا يستطيبون ذلك، فخوطبوا على ما يعرفون(١).

﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ أي: الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلا، وقال عكرمة: اسم عين في الجنة، وقال مجاهد: سميت بذلك -سلسبيلا-لسلاسة سيلها وحدة جريها، وقال قتادة: عينًا فيها تسمى سلسبيلا أي: عين سلسة يستفاد من مائها، وحكى ابن جرير عن بعضهم: أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلق، واختار ابن جرير أنها تعم ذلك كله، وهذا هو الصواب، والراجح من وجهة

(١) يراجع: الهداية الى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٩٢٥-٧٩٢٨، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/ ٢٦٠، جامع البيان ٢٤/ ١٠٤، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٧١.

نظري -والله أعلم-[١]،والفائدة في تسمية العين بالسلسبيل بعد تسميتها بالزنجبيل؛ لأنها في طعم الزنجبيل ولذته، ولكن ليس فيها اللذع الذي هو منافٍ للسلاسة[٢].

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ...﴾ هذا طواف آخر غير طواف السقاة المذكور آنفا في قوله: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ فهذا طواف لأداء الخدمة فيشمل طواف السقاة وغيرهم، و﴿وِلْدَانٌ﴾: جمع وليد، وأصله فعيل بمعنى مفعول، ويطلق الوليد على الصبي مجازًا مشهورًا بعلاقة ما كان؛ لقصد تقريب عهده بالولادة، وأحسن من يتخذ للخدمة الولدان؛ لأنهم أخف حركة وأسرع مشيًا، ولأن المخدوم لا يتحرج إذا أمرهم أو نهاهم، ووصفوا بأنهم ﴿مُّخَلَّدُونَ ﴾ للاحتراس مما قد يوهمه اشتقاق ولدان من أنهم يشبون ويكتهلون، أي: لا تتغير صفاتهم فهم ولدان دومًا، ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس أشعة بعضهم إلى بعض، وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه؛ لأنه أحسن وأكثر ماء ، والمراد دوام كونهم على تلك الصورة التي لا يراد في الخدم أبلغ منها، وذلك يتضمن دوام حياتهم وحسنهم ومواظبتهم على الخدمة الحسنة، والخطاب في ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾للنبي -صلّى الله عليه وسلم- أو لكل واقف عليه[٣].

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ ﴾ و«ثم» هنا ظرف مكان مختص بالبعيد، وهو منصوب على الظرفية، ومفعول الرؤية غير مذكور، ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا ﴾ لا يقادر قدره، ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي: واسعًا لا غاية له، فقوله- سبحانه- ﴿رَأَيْتَ ﴾ الثانية جواب ﴿ وَإِذَا﴾ والمشار إليه بـــ ﴿ثَمَّ ﴾ التي هي بمعنى هناك معلوم من المقام؛ لأن المقصود به الجنة التي سبق الحديث عنها في قوله: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي:

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٢٩٨ ، وجامع البيان ٢٣/ ٥٦٤.

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي ٢٩/ ٢٩٨.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٣٩٧، وروح المعاني ١٥/ ١٧٨، والتفسير المنير للزحيلي ٢٩/ ٣٠١.

وإذا سرحت ببصرك إلى هناك رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا[1].

﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ...﴾أي: أن هؤلاء الأبرار، يطعمون أطيب المطاعم، ويشربون ألذ وأمرأ المشارب، وهم في حال اتكاء واسترواح، وبين أيديهم اللؤلؤ المنثور من الغلمان يقومون على خدمتهم، وإذ يفيض عليهم من هذا النعيم ما تشرق به وجوههم من رضا ورضوان- تراهم وقد ألبسوا أفخر الثياب، وحلّوا بأثمن الحلي وأكرمها، فهذا مما يتم به النعيم، وتكمل به المسرات، و﴿سُندُسٍ﴾ ضرب من نسيج الحرير الرقيق، ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ نسيج أغلظ من نسيج السندس، أي: أن السندس يكون شعارًا، والإستبرق يكون دثارًا، و ﴿عَالِيَهُمْ﴾ ظرف بمعنى: «فوقهم»، أي: تعلوهم ثياب سندس خضر، وفى التعبير بلفظ ﴿عَالِيَهُمْ﴾ بدلًا من عليهم هو- والله أعلم- إشارة إلى أن هذه الملابس لا تلتصق بأجسامهم كما تلتصق ثيابنا على أجسادنا في هذه الدنيا، وإنما هي ألوان من النور أشبه بألوان الطيف تنعكس على هذه الأجسام النورانية، وهذا يعنى أن الحياة في الجنة حياة روحية لا يخالطها شيء من عالم المادة إلا كان في شفافية الروح وصفائها.

وقوله: ﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ أي: وقد حلوا أساور من فضة، وجاء هنا ﴿مِن فِضَّةٍ ﴾وفى سورة فاطر ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾[2]؛ لأنهم قد يجمعون بينهما، أو يلبسون الذهب تارة والفضة أخرى.

وقوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ هو إشارة إلى عظم ما يساق إلى هؤلاء الأبرار من نعيم، حيث يتناولون هذا الشراب الطهور من ربهم بعد أن يكونوا قد تذوقوا ألوان النعيم الأخرى، فكان هذا الشراب من يد البر الرّحيم هو النشوة الكبرى التي لا يحيط بها وصف، ولا يعرف كنهها إلا من أكرمه الله بها [3].

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢٢٤ .

(٢) سورة فاطر ٣٥ الآية ٣٣.

(٣) يراجع: التفسير القرآني للقرآن ١٥/ ١٣٧٢، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٧١.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ أي: يقال لهم ذلك تكريمًا لهم وإحسانًا إليهم كما قال تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾[١]، وكقوله تعالى: ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ أي: جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير[٣].

المطلب السابع: ما ترشد إليه الآيات:

أولًا: من أهم ما يميز القرآن الكريم أنه يتبع الترهيب بالترغيب، ويتكلم عن الكفار ونهايتهم ثم عن الأبرار من المؤمنين وخاتمتهم، ليظهر الفرق جليًّا فيكون ذلك أدعى إلى الإيمان وعدم التكذيب، وهذا ما يقرر عقيدة البعث والجزاء.

ثانيًا: في هذه الآيات وصف رائع للأبرار لما كان يصدر منهم من إيثار للمساكين والمعوزين على أنفسهم ومن برّهم بهم على شدّة حاجتهم تقربا إلى الله تعالى.

ثالثًا: يجب أن يتصف المسلم بالرفق بالبؤساء والمحتاجين والأرقاء ومساعدتهم في كل ظرف، ومن مراقبة الله وابتغاء مرضاته وعدم انتظار الشكر والجزاء من أحد على ما يفعله من خير وبرّ ومعروف، ثم بتحميل نفسه أقصى ما يمكن من الجهد في سبيل ذلك.

رابعًا: من أشرف أنواع الإحسان والبر إطعام الطعام؛ لأن به قوام الأبدان.

خامسًا: حرمة استعمال أواني الذهب والفضة، وحرمة الخمر، وحرمة لبس الحرير والذهب على الرجال وإباحتهما للنساء.

سادسًا: مشروعية اتخاذ خدم صالحين يخدمون المرء ويحسن إليهم.

سابعًا: الجزاء من جنس العمل فالله -عز وجل- أعد للأبرار جزاء ما عملوا، وما زكوا به أنفسهم من جميل الخصال، وبديع الخلال[٤].

---

(١) سورة الحاقة ٦٩ الآية ٢٤.

(٢) سورة الأعراف ٧ الآية ٤٣

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٣٠٠.

(٤) يراجع: التفسير الواضح ٣/ ٧٩٥، والتفسير الحديث ٦/ ١٠٩، و لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٣٧٨، وأيسر التفاسير للجزائري ٥/ ٤٨٧، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٦٨.

المبحث الرابع

إثبات أن القرآن من عند الله وأن العبادة هي السبيل إلى الفوز بجنات النعيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾[1]. **وفيه ستة مطالب:**

المطلب الأول: المفردات اللغوية.

﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾: أي: أنزلناه عليك مفرقًا منجمًا.

﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: عليك بحمل رسالتك وإبلاغها إلى الناس.

﴿آثِمًا﴾ **الآثم:** هو الفاجر المجاهر بالمعاصي.

﴿كَفُورًا﴾ **الكفور:** هو المشرك المجاهر بكفره.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أي: أول النهار وآخره، وقيل المراد بذلك جميع الأوقات، وقيل المراد: صلاة الصبح والظهر والعصر.

﴿فَاسْجُدْ﴾ أي: صلّ صلاة المغرب والعشاء.

﴿وَسَبِّحْهُ﴾ أي: تهجد بالليل نافلة لك.

﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا.

﴿وَيَذَرُونَ﴾: يتركون .

﴿وَرَاءَهُمْ﴾ أي: أمامهم.

﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ أي: يوم القيامة[2].

---

(١) سورة الإنسان ٧٦ الآيات ٢٣-٢٧.

(٢) يراجع: تفسير المراغي ٢٩/ ١٧٣، التفسير الواضح ٣/ ٧٩٨، والتفسير المنير ٢٩/ ٣٠٣، وأيسر التفاسير للجزائري ٥/ ٤٨٨.

المطلب الثاني: الإعراب.

﴿ إِنَّا ﴾ إن واسمها، و ﴿ نَحْنُ ﴾ ضمير منفصل مبتدأ خبره جملة: ﴿ نَزَّلْنَا ﴾ ، و﴿ نَزَّلْنَا ﴾ ماض وفاعله، وجملة: ﴿ نَحْنُ نَزَّلْنَا ﴾ في محلّ رفع خبر ﴿إِنَّا ﴾، وجملة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ﴾ لا محلّ لها استئنافيّة، و ﴿ عَلَيْكَ ﴾ جار ومجرور متعلق بالفعل، و ﴿ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ مفعول به، و ﴿ تَنزِيلًا ﴾ مفعول مطلق منصوب.

﴿ فَٱصْبِرْ ﴾ الفاء الفصيحة وأمر فاعله مستتر، و ﴿ لِحُكْمِ ﴾ جار ومجرور بالفعل، و ﴿ رَبِّكَ ﴾ مضاف إليه، والجملة جواب شرط مقدر لا محل لها، و ﴿ وَلَا تُطِعْ ﴾ مضارع مجزوم بـــ«لا» فاعله مستتر، و ﴿ مِنْهُمْ ﴾متعلقان بالفعل أو متعلّق بحال من ﴿ ءَاثِمًا ﴾، و ﴿ ءَاثِمًا ﴾ مفعول به، و ﴿أَوْ﴾ حرف عطف، و ﴿ كَفُورًا ﴾ معطوف على ﴿ ءَاثِمًا ﴾، والجملة معطوفة على ما قبلها.

﴿ وَٱذْكُرِ ﴾ أمر فاعله مستتر، و ﴿ ٱسْمَ ﴾ مفعول به مضاف إلى ﴿ رَبِّكَ ﴾ ، و﴿ بُكْرَةً ﴾ ظرف زمان، ﴿ وَأَصِيلًا ﴾ معطوف على ﴿ بُكْرَةً ﴾، والجملة معطوفة على ما قبلها.

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ ﴾ متعلقان بـــ «اسجد»، و ﴿ فَٱسْجُدْ ﴾ الفاء زائدة وأمر فاعله مستتر، و ﴿ لَهُۥ ﴾ متعلقان بالفعل، و ﴿ وَسَبِّحْهُ ﴾ أمر ومفعوله والفاعل مستتر، والجملة معطوفة على ما قبلها، و ﴿ لَيْلًا ﴾ ظرف زمان، و ﴿ طَوِيلًا ﴾ صفة لـ ﴿ لَيْلًا ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ﴾ إن واسمها ومضارع مرفوع، والواو فاعله، و ﴿ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ مفعول به، والجملة الفعلية خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل، ﴿ وَيَذَرُونَ ﴾مضارع وفاعله، ﴿ وَرَآءَهُمْ ﴾ ظرف مكان، و ﴿ يَوْمًا ﴾ مفعول به، و ﴿ ثَقِيلًا ﴾ صفة لـ ﴿ يَوْمًا ﴾، والجملة معطوفة على ما قبلها[1].

(١) يراجع: إعراب القرآن للدعاس ٣/ ٤٠٩، والجدول في إعراب القرآن ٢٩/ ١٩٢، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٦٨، وإعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٣٢٦.

المطلب الثالث: البلاغة.

﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ بينهما طباق، وفي قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ مقابلة، حيث قابل بين المحبة والترك، وبين العاجلة والباقية.

﴿ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾اليوم الثقيل: هو يوم القيامة، وصف بالثقيل على وجه «الاستعارة التصريحية»؛ لشدة ما يحصل فيه من المتاعب والكروب، فهو كالشيء الثقيل الذي لا يستطاع حمله، و«الثقل»: يستعار للشدة والعسر، قال تعالى:﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1] وقال: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[2].

وتأكيد الضمير المتصل بضمير منفصل في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾؛ لتقرير مدلول الضمير تأكيدًا لفظيًّا للتنبيه على عظمة ذلك الضمير، وليفضي به إلى زيادة الاهتمام بالخبر إذ يتقرر أنه فعل من هذين الضميرين؛ لأنه لا يفعل إلا فعلًا منوطًا بحكمة وأقصى صوابًا، وهذا من الكناية الرمزية، فالخبر بمجموعه مستعمل في لازم معناه، وهو التثبيت والتأييد، فمجموعه كناية رمزية[3].

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي.

لقد عرض المشركون على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عرضًا مفاده أن يترك دعوة الله -تعالى- إلى عبادته وتوحيده، ويعبد ربه وحده، ويترك المشركين فيما هم فيه، وله مقابل ذلك مال أو أزواج أو رئاسة وما إلى ذلك فأبى الله -تعالى- له ذلك، وأنزل قوله:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴾ أي: ما افتريته، ولا جئت به من عندك ولا من تلقاء نفسك كما يقول المشركون، ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ أي: فاصبر على تحمل رسالتك وتبليغها إلى الناس،

(١) سورة الاعراف ٧ الآية ١٨٧.

(٢) سورة المزمل ٧٣ الآية ٥.

(٣) يراجع: التفسير المنير للزحيلي ٢٩/ ٣٠٢، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٤٠٨، والجدول في إعراب القرآن ٢٩/ ١٩٣، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٩/ ٧٦.

﴿ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ﴾ أي من مشركي قريش، ﴿ ءَاثِمًا ﴾ كأبي جهل وعتبة بن ربيعة، ﴿ أَوۡ كَفُورٗا ﴾ كالوليد بن المغيرة أي: لا تطعهما فيما طلبا إليك، وعرضا عليك، وواصل دعوتك، ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ أي: واستعن بالصلاة والتسبيح والذكر والدعاء، وفي قوله تعالى ﴿ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ إشارة إلى صلاة الصبح والظهر والعصر، وفي قوله ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ ﴾ إشارة إلى صلاة المغرب والعشاء، وقوله: ﴿ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴾ صريح في أنه التهجد، إذ الصلاة نعم العون للعبد، ولذا كان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴾ أي: الدنيا يعني بهم كفار قريش يحبون الدنيا، وسميت بالعاجلة؛ لأنها ذاهبة مسرعة، ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴾ هو يوم القيامة فلم يؤمنوا ولم يعملوا بما يسعدهم فيه(١).

المطلب الخامس: التفسير والبيان.

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴾ من هذه الآية إلى آخر السورة لا خلاف في أنه مكي ،ولكن قول الجمهور أن السورة كلها مكية هو الأرجح، وقوله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ...﴾ استئناف ابتدائي؛ للانتقال من الاستدلال على ثبوت البعث بالحجة والترهيب والوعيد للكافرين به، والترغيب والوعد للمؤمنين به ، وهي من الأحوال التي تكون بعد البعث، فلما استوفى ذلك ثنى عنان الكلام إلى تثبيت الرسول -صلى الله عليه وسلم- والربط على قلبه لدفاع أن تلحقه آثار الغم على تصلب قومه في كفرهم وتكذيبهم بما أنزل عليه مما شأنه أن يوهن العزيمة البشرية، فذكَّره الله بأنه نزل عليه الكتاب؛ لئلا يعبأ بتكذيبهم.

وتأكيد الخبر بـ «إن» للاهتمام به، وتأكيد الضمير المتصل بضمير منفصل في قوله: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ ﴾؛ لتقرير مدلول الضمير تأكيدًا لفظيًّا للتنبيه على عظمة ذلك الضمير ليفضي به إلى زيادة الاهتمام بالخبر،

(١) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري ٥/ ٤٨٩، والتفسير الوسيط لطنطاوي / ٢٢٧، والتفسير الواضح ٣/ ٧٩٩، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٧٤.

ولأنه لا يفعل إلا فعلًا منوطًا بحكمة.

وإيثار فعل ﴿ نَزَّلْنَا ﴾ الدال على تنزيله منجمًا آياتٍ وسورًا تنزيلًا مفرقًا؛ للإيماء إلى أن ذلك كان من حكمة الله –تعالى– التي أومأ إليها تأكيد الخبر بـ «إن» وتأكيد الضمير المتصل بالضمير المنفصل، فاجتمع فيه تأكيد على تأكيد، وذلك يفيد مفاد القصر، إذ ليس الحصر والتخصيص إلا تأكيدًا، فالمعنى: ما نزل عليك القرآن إلا أنا، وفيه تعريض بالمشركين الذين قالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾[1]، فجعلوا تنزيله مفرقًا شبهة في أنه ليس من عند الله، والمعنى: ما أنزله منجمًا إلا أنا، واقتضت حكمتي أن أنزله عليك منجمًا[2].

﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ فيها معنيان: الأول: إما أن يكون المعنى: فاصبر لحكم ربك في تأخير الإذن في القتال ونظيره قوله: ﴿ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[3]، الثاني: أن يكون المعنى عامًا في جميع التكاليف، أي: فاصبر في كل ما حكم به ربك سواء كان ذلك تكليفًا خاصًا بك من العبادات والطاعات، أو متعلقًا بالغير، وهو التبليغ وأداء الرسالة، وتحمل المشاق الناشئة من ذلك[4]

﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ الفرق بين «الآثم» و«الكفور» أن الآثم: هو المقدم على المعاصي، أيُّ معصية كانت، والكفور: هو الجاحد للنعمة، فكل كفور آثم، وليس كل آثم كفورًا، و الآثم عام في المعاصي كلها؛ لأنه تعالى قال: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[5]،

(١) سورة الفرقان ٢٥ الآية ٣٢.

(٢) يراجع: التحرير والتنوير ٢٩/ ٤٠٢-٤٠٣، والتفسير الحديث ٦/ ١١٥، والتفسير القرآني للقرآن ١٥/ ١٣٨٢.

(٣) سورة الأعراف ٧ الآية ٨٧.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٥٨.

(٥) سورة النساء ٤ الآية ٤٨.

فسمى الشرك إثمًا، وقال: ﴿ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾[١]، وقال: ﴿ وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ ﴾[٢]، فدلت هذه الآيات على أن هذا «الإثم» شامل لكل المعاصي، ومن المعلوم أن كل من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان؛ لأنه لما عبد غيره فقد عصاه، وجحد إنعامه، و في الآية قولان: **الأول**: أن المراد شخص معين، ثم منهم من قال: الآثم والكفور هو شخص واحد، وهو أبو جهل، ومنهم من قال: الآثم هو الوليد والكفور هو عتبة، وروى صاحب الكشاف أن «الآثم» هو عتبة، و«الكفور» هو الوليد؛ لأن عتبة كان ركَّابًا للمآثم متعاطيًا لأنواع الفسوق، والوليد كان غاليًا في الكفر، **الثاني**: أن «الآثم» و«الكفور» مطلقان غير مختصين بشخص معين، وهذا هو الأقرب إلى الظاهر، والله أعلم[٣].

﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ﴾أي: أقبل على شأنك من الدعوة إلى الله، واذكر الله بأنواع الذكر، وهذا إرشاد إلى ما فيه عون له على الصبر على ما يقولون، والمراد بقوله: ﴿ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴾ استغراق أوقات النهار، أي: لا يصدك إعراضهم عن معاودة الدعوة وتكريرها طرفي النهار، ويدخل في ذكر الله الصلوات مثل قوله:﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[٤]، وكذلك النوافل التي هي من خصائص النبي -صلى الله عليه وسلم- بين مفروض منها وغير مفروض، فالأمر في قوله: ﴿ وَٱذۡكُرِ ﴾ مستعمل في مطلق الطلب من وجوب ونفل، وذكر اسم الرب في قوله ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ﴾ يشمل تبليغ الدعوة، ويشمل عبادة الله في الصلوات المفروضة والنوافل، ويشمل الموعظة بتخويف عقابه ورجاء ثوابه.

---

(١) سورة البقرة ٢ الآية ٢٨٣.

(٢) سورة الأنعام ٦ الآية ١٢٠.

(٣) يراجع: مفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٥٨، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٤/ ٦٧٤ ، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٧/ ٢٠٣، وزاد المسير في علم التفسير ٤/ ٣٨١.

(٤) سورة هود ١١ الآيتان ١١٤-١١٥.

وقوله: ﴿ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ يشمل أوقات النهار كلها المحدود منها كأوقات الصلوات، وغير المحدود كأوقات النوافل والدعاء والاستغفار، و﴿ بُكۡرَةٗ ﴾ هي أول النهار، ﴿ وَأَصِيلٗا﴾ عشيًّا.

وقوله:﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ ﴾ إشارة إلى أن الليل وقت تفرغ من بث الدعوة ، وقوله: ﴿وَسَبِّحۡهُ﴾ جملة معطوفة على جملة :﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ ﴾ فتعين أن «التسبيح» التنفل، و«التسبيح»: التنزيه بالقول وبالاعتقاد، ويشمل الصلوات والأقوال الطيبة والتدبر في دلائل صفات الله وكمالاته، وغلب إطلاق مادة التسبيح على الصلاة النافلة، وقوله: ﴿ طَوِيلٗا ﴾ صفة، ﴿ لَيۡلٗا ﴾، وحيث وصف الليل بالطول بعد الأمر بالتسبيح فيه، علم أن ﴿ لَيۡلٗا ﴾ أريد به أزمان الليل؛ لأنه مجموع الوقت المقابل للنهار، فتعين أن وصف الطول تقييد للأمر بالتسبيح، أي: سبحه أكثر الليل[1]، فهو في معنى قوله تعالى:﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾[2]، وهذه الآية جاءت على وفق قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾[4].

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ...﴾ توبيخ وتقريع، والمراد أهل مكة، و﴿ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ المراد بها: الدنيا، ﴿ وَيَذَرُونَ ﴾ أي: ويدعون، ﴿ وَرَآءَهُمۡ ﴾ أي: بين أيديهم، وقيل: خلفهم، أي: ويذرون

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٤٠٥ ، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٧٥، وروح المعاني ١٥/ ١٨٣، والتفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢٢٨. التفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢٢٨.

(٢) سورة المزمل ٧٣ الآيات ٢-٤.

(٣) سورة الحجر ١٥ الآيتان ٩٧-٩٨.

(٤) سورة المزمل ٧٣ الآيات ٨-١٠.

الآخرة خلف ظهورهم فلا يعملون لها، والآية نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحة نبوته، والآية تعم، ﴿ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ أي: عسيرًا شديدًا ، واليوم الثقيل هو يوم القيامة، وإنما استعير الثقل لشدائده وأهواله، وقيل: للقضاء فيه بين عباده[١]، ونحوه قوله تعالى: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [٢].

المطلب السادس: ما ترشد إليه الآيات.

أولًا: جاء قوله- تعالى-:﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ مؤكدًا بجملة من المؤكدات؛ للرد على أولئك الجاحدين الذين أنكروا أن يكون القرآن من عند الله- تعالى-.

ثانيًا: القرآن حقٌ ووعده صدقٌ، وهو تذكرة للمؤمنين.

ثالثًا: تثبيت فؤاد النبي -صلى الله عليه وسلم- وتيئيس المشركين من استجابته -صلى الله عليه وسلم- لأى مطلب من مطالبهم الفاسدة، وحرمة طاعة ذوي الإثم وأهل الكفر في حال الاختيار.

رابعًا: قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ ...﴾، وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾ هاتان الآيتان ترشدان الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى ما يعينه على الازدياد من فضيلة الصبر الجميل والثبات على الحق، وذلك من خلال الاستعانة بالصلاة والذكر والدعاء ونافلة الليل، فإنها دأب الصالحين، فإن كل هذه الامور تعين العبد على الثبات والصبر.

خامسًا: قوله تعالى:﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ هذه الآية الكريمة توبيخ وتجهيل للمشركين، حيث آثروا الفاني على الباقي، والعاجل على الآجل[٣].

(١) يراجع: الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٥٠، ومفاتيح الغيب ٣٠/ ٧٦٠.

(٢)سورة الأعراف ٧ الآية ١٨٧.

(٣) يراجع: التفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢٢٦-٢٢٨، وأيسر التفاسير للجزائري ٥/ ٤٩٠، وصفوة التفاسير ٣/ ٤٧١.

المبحث الخامس

من اتبع هُدى الله فاز ومن ضل خسر

قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1]. **وفيه سبعة مطالب:**

المطلب الأول: المفردات اللغوية.

﴿خَلَقْنَاهُمْ﴾ أي: أو جدناهم من العدم.

﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي: أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب والعروق.

﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أي: وإذا أردنا أهلكناهم.

﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: جعلنا أمثالهم في الخلقة بدلًا منهم بعد أن نهلكهم.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ أي: الآيات المندرجة في هذه السّورة.

﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: عظيمة وعظة بليغة لمن يوفقه الله لامتثالها والقيام بمقتضاها.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي: فمن شاء اتّخذ إلى رضاء ربه طريقًا بطاعة الله عزّ وجلّ والانتهاء عن معاصيه.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ لأن الأمر كله له وحده فلا تقدرون على طاعته إلّا بتوفيقه وإرادته، ولا ينكفون عن معصيته إلّا بمشيئته وأمره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأحوال خلقه، وما يؤل إليه حالهم في الدّنيا والآخرة.

﴿حَكِيمًا﴾ مصيبًا بما يفعله بخلقه.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ﴾ بهدايته لدينه القويم.

---

(١) سورة الإنسان ٧٦ الآيات:٢٨-٣١.

﴿فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أي: الجنة.

﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾باختيارهم المعاصي وظلمهم أنفسهم وغيرهم.

﴿أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ أي: في النار والأليم : ذو الألم الموجع الذي لا تطيقه قواهم [١].

المطلب الثاني: الإعراب.

﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ﴾ مبتدأ وماض وفاعله ومفعوله، والجملة الفعلية خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، ﴿وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ﴾ماض وفاعله ومفعوله، والجملة معطوفة على ما قبلها ﴿وَإِذَا﴾ ظرفية شرطية غير جازمة، و ﴿شِئۡنَا﴾ ماض وفاعله، والجملة في محل جر بالإضافة، و ﴿بَدَّلۡنَآ﴾ ماض وفاعله، و ﴿أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ مفعول به، و ﴿تَبۡدِيلًا﴾ مفعول مطلق، والجملة جواب الشرط لا محل لها.

الإشارة في ﴿هَٰذِهِۦ﴾ إلى السورة، ﴿فَمَن﴾ «الفاء» عاطفة «من» اسم شرط جازم في محلّ رفع مبتدأ ﴿شَآءَ﴾ ماض في محلّ جزم فعل الشرط، وكذلك جواب الشرط ﴿ٱتَّخَذَ﴾، ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ متعلّق بمحذوف مفعول به ثان عامله ﴿ٱتَّخَذَ﴾، وجملة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ ...﴾ لا محلّ لها استئنافيّة، وجملة: ﴿فَمَن شَآءَ...﴾ لا محلّ لها معطوفة على الاستئنافيّة، وجملة: ﴿شَآءَ ... ﴾في محلّ رفع خبر المبتدأ «من»، وجملة: ﴿ٱتَّخَذَ ... ﴾لا محلّ لها جواب الشرط الجازم غير مقترنة بالفاء.

﴿وَمَا﴾ نافية، و﴿تَشَآءُونَ﴾ مضارع مرفوع، والواو فاعل، والجملة مستأنفة، و ﴿إِلَّآ﴾ حرف حصر، و﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ مضارع منصوب بـ«أن»، ولفظ الجلالة فاعل، والمصدر المؤول من «أن والفعل» في محل جر بالإضافة لظرفٍ محذوفٍ أي: «إلا وقت مشيئة الله»، و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ﴾ إن واسمها وماضٍ ناقص اسمه مستتر، و ﴿عَلِيمًا حَكِيمَا﴾ خبران، والجملة الفعلية خبر «إن»، والجملة الاسمية تعليلية.

﴿يُدۡخِلُ﴾ مضارع فاعله مستتر، و ﴿مَن﴾ مفعول به، والجملة حال، و ﴿يَشَآءُ﴾ مضارع فاعله

(١) يراجع: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣/ ٥٨٢، والتفسير المنير للزحيلي ٢٩/ ٣٠٣، وأيسر التفاسير للجزائري ٥/ ٤٨٨، صفوة التفاسير ٣/ ٤٧٢، وبيان المعاني ٦/ ٧٥، المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني المتوفى: ١٣٩٨هـ ، الناشر: مطبعة الترقي – دمشق الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥م.

مستتر، و ﴿فِي رَحۡمَتِهِۦٓ﴾ متعلقان بالفعل، والجملة صلة ﴿ مَن ﴾ ،﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ مفعول به لفعل محذوف تقديره «يعذب»، والجملة معطوفة على ما قبلها، و ﴿ أَعَدَّ﴾ ماض فاعله مستتر، و ﴿ لَهُمۡ ﴾ متعلقان بالفعل، و ﴿ عَذَابًا﴾ مفعول به، و ﴿ أَلِيمًا ﴾ صفة، والجملة مفسرة لما قبلها[1].

المطلب الثالث: البلاغة.

﴿ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ ﴾ الأسر: الربط بقوة مأخوذ من الأسر، وهو جلد البعير رطبًا، وهو القد، وسمي الأسير أسيرًا لشد قيده بقوة بجلد البعير الرطب، وهو هنا تقوية بشد ربط الأعضاء المتحركة في الإنسان في مفاصله بالعصب، وأطلق هنا على الإحكام والإتقان والقوة في الخلق على وجه الاستعارة.

﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ اتخاذ السبيل: سلوكه، عبر عن السلوك بالاتخاذ على وجه الاستعارة بتشبيه ففي قوله: ﴿ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ استعارتان؛ لأن السبيل مستعار لسبب الفوز بالنعيم والزلفى.

وجملة ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ يجوز أن تكون عطفًا على جملة ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ أو حالًا من ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ ، وهي على كلا الوجهين تتميم[2] واحتراس[3].

المطلب الرابع: القراءات:

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ﴿ تَشَآءُونَ ﴾ بالياء، وردوه على قوله تعالى: ﴿ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ

(١) ينظر: إعراب القرآن للدعاس ٣/ ٤٠٩، والجدول في إعراب القرآن ٢٩/ ١٩٤، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٧٠.

(٢) التتميم هو: أن توفى المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة، ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره. ينظر: الصناعتين١/ ٣٨٩، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه ٢/ ٥٠، المؤلف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٤٠٩-٤١٢، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/ ٣٩٨، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع -بيروت - لبنان -عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

يَوۡمَا ثَقِيلَا ﴾، وقوله: ﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ ﴾ وجعلوا قوله: ﴿ تَشَآءُونَ ﴾ بالياء خبرًا عنهم؛ إذ أتى في سياق الخبر عنهم؛ ليأتلف الكلام على نظام واحد، وقرأ الباقون ﴿ تَشَآءُونَ ﴾ بتاء الخطاب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ وإنما خاطبهم بذلك بعد انقضاء الخبر عنهم؛ لأن الخطاب يدخل فيه معنى الخبر فهو أوعب(١).

المطلب الخامس: المعنى الإجمالي.

﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ ﴾ أي: كيف يغفلون عنا، ونحن الذين خلقناهم، وأحكمنا ربط مفاصلهم بالعروق والأعصاب، أفبعد هذا نتركهم سدى؟، ثم توعّدهم، وهدّدهم فقال: ﴿ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴾ أي: وإذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأشباههم فجعلناهم بدلًا منهم، وقد جرت سنة الله بأن يزيل ما لا يصلح للرقى من خلقه، وبعد أن ذكر أحوال السعداء والأشقياء أرشد إلى أن في هذا الذكر تذكرة وموعظة للخلق، وفوائد جمة لمن ألقى سمعه، وأحضر قلبه، وكانت نفسه مقبلة على ما ألقى إليه سمعه، فقال: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ أي: إن هذه السورة بما فيها من ترتيب بديع، ونسق عجيب، ووعد ووعيد، وترغيب وترهيب، تذكرة للمتأملين، وتبصرة للمستبصرين، فمن شاء الخير لنفسه في الدنيا والآخرة فليتقرب إلى ربه بالطاعة، ويتبع ما أمره به، وينته عما نهاه عنه؛ ليحظى بثوابه، ويبتعد عن عقابه، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ أي: وما تشاءون اتخاذ السبيل الموصلة إلى النجاة، ولا تقدرون على تحصيلها إلا إذا وفقكم الله لاكتسابها، وأعدّكم لنيلها، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾أي: إن الله عليم بمن يستحق الهداية فييسّرها له، ويقيّض له أسبابها، ومن هو أهل للغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾أي: والذين ظلموا أنفسهم فماتوا على شركهم أعدّ لهم في الآخرة عذابًا مؤلمًا موجعًا،

(١) يراجع: المبسوط في القراءات العشر ١/ ٤٥٥، وحجة القراءات ١/ ٧٤١، والسبعة في القراءات ١/ ٦٦٥، والحجة للقراء السبعة ٦/ ٣٦١.

هو عذاب جهنم وبئس المصير[1].

المطلب السادس: التفسير والبيان.

﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي: نحن وحدنا الذين خلقناهم، وأوجدناهم من العدم، وأتقنا وأحكمنا خلقهم، بأن منحناهم السمع والأبصار والأفئدة والعقول، وربطنا بين مفاصلهم وأجزاء أجسادهم ربطًا عجيبًا معجزًا، والأسر معناه لغة: الشد والربط، ويطلق أيضا على ما يشد ويربط به، ولذا سمي الأسير أسيرًا بمعنى مربوطا، فشبهت الأعصاب بالحبال المربوط بها؛ ليقوى البدن بها أو لإمساكها للأعضاء؛ ولذا سموها رباطات أيضًا.

يقال: أسر الله- تعالى- فلانًا أي: خلقه وبابه ضرب، وفرسٌ شديد الأسر أي: شديد الخلق، والأسر: القوة، مشتق من الإسار- بكسر الهمزة- ، وهو الحبل الذي تشد به الأحمال، يقال: أسر فلان الحمل أسرًا، إذا أحكم ربطه، ومنه الأسير؛ لأنه يربط بالإسار أي: القيد، والمقصود بـ «الأسر» هنا: الإحكام والإتقان والامتنان عليهم بأن الله- تعالى- خلقهم في أحسن وأتقن خلق، وفى هذا بيان لما لله -سبحانه وتعالى- من فضل وإحسان على الإنسان الذي خلقه فأحسن خلقه، وأقامه على هذه الصورة التي علا بها على أفق الحيوان فصار بشرًا سويًّا، وأصبح خليفة لله على هذا الكوكب الأرضي.

وقوله- سبحانه- ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ تأكيد لشمول قدرته- تعالى- أي: نحن وحدنا الذين خلقناهم، ونحن وحدنا الذين ربطنا مفاصلهم وأعضاءهم ربطًا متقنًا بديعًا، ومع ذلك فإننا إذا شئنا إهلاكهم أهلكناهم، وجئنا بأمثالهم وأشباههم في شدة الخلق، وبدلناهم تبديلًا معجزًا لا يقدر عليه أحد سوانا، وفى جمع الأمثال إشارة إلى أن قدرة الله -سبحانه- لا حدود لها، وأنه قادر على أن يقيم مكان هؤلاء الآدميين أمثالًا لا مثلًا واحدًا، وقوله: ﴿ تَبْدِيلًا﴾ منصوب على أنه

(١) ينظر: تفسير المراغي ٢٩/ ١٧٥.

مفعول مطلق مؤكد لعامله وهو «بدلناهم»[١]، ومن الآيات الشبيهة لهذه الآية في معناها قوله- تعالى-: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾[٢]، وقوله- سبحانه-: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾إشارة إلى الآيات المتقدمة، أو إلى السورة، ولذلك أتي باسم الإشارة المؤنث، و«التذكرة»: مصدر ذكَّر مثل «التزكية» ، أي: أكلمه كلامًا يذكره به ما عسى أن يكون نسيه، وأطلقت هنا على الموعظة بالإقلاع عن عمل سيِّئ، والإقبال على عمل صالح، وعلى وضوح الخير والشر لمن تذكر، أي: تبصر بتشبيه حالة المعرض عن الخير المشغول عنه بحالة الناسي له؛ لأن شأنه ألا يفرط فيه إلا من كان ناسيًا لما فيه من نفع له، وفرَّع عليه الحث على سلوك سبيل مرضاة الله بقوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾، أي: ليس بعد هذه التذكرة إلا العمل بها إذا شاء المتذكر أن يعمل بها، ففي قوله: ﴿فَمَن شَآءَ﴾ حث على المبادرة بذلك؛ لأن مشيئة المرء في مكنته فلا يمنعه منها إلا سوء تدبيره، وهذا حث وتحريض فيه تعريض بالمشركين بأنهم أبوا أن يتذكروا عنادًا وحسدًا.

﴿ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ اتخاذ السبيل: سلوكه عبر عن السلوك بالاتخاذ على وجه الاستعارة ،والسبيل هنا مُنكَّر، ولكنه معين بقوله: ﴿رَبِّهِۦ﴾ ؛لأن السبيل إلى ربه هو السبيل المستقيم، كما قال تعالى:﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ﴾[٤] ، وهو الصراط المستقيم الذي دعا إليه – صلى الله عليه وسلم – . كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢٢٩، ومحاسن التأويل ٩/ ٣٧٩، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢ هـ) ، المحقق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، وتفسير ابن كثير ٨/ ٢٩٤، والتفسير القرآني للقرآن ١٥/ ١٣٨٥، وتفسير المراغي ٢٩/ ١٧٦.

(٢) سورة النساء ٤ الآية ١٣٣.

(٣) سورة فاطر ٣٥ الآيتان ١٦-١٧.

(٤) سورة الأنعام ٦ الآية ١٥٣.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴾[1]، وهو القرآن الكريم ، فيكون السبيل هنا معلومًا، ويتعلق قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾، أي سبيلًا مبلغة إلى الله، ولا يختلف العقلاء في شرف ما يوصل إلى الرب، أي: إلى إكرامه؛ لأن ذلك قرارة الخيرات؛ ولذلك عبر بقوله: ﴿ رَبِّهِۦ﴾ مضافًا إلى ضمير، ﴿ فَمَن شَآءَ ﴾،إذ سعادة العبد في الحظوة عند ربه، وهذه السبيل هي التوبة، فالتائب مثل الذي كان ضالًا أو آبقا فاهتدى إلى الطريق التي يرجع منها إلى مقصده، أو سلك الطريق إلى مولاه[2].

ثم بين- سبحانه- أن مشيئته فوق كل مشيئة فقال ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ...﴾، فلما ذكر اختيارهم سبيل مرضاة الله بمشيئتهم في الآية السابقة أعقبه بالتنبيه إلى الإقبال على طلب مرضاة الله للتوسل برضاه إلى تيسير سلوك سبل الخير لهم؛ لأنهم إذا كانوا منه بمحل الرضى والعناية لطف بهم، ويسر لهم ما يعسر عليهم ، وجملة ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ يجوز أن تكون عطفًا على جملة ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾، أو حالًا من ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾، وحذف مفعول ﴿ تَشَآءُونَ ﴾ لإفادة العموم، والتقدير: و «ما تشاءون شيئًا أو مشيئًا».

﴿وَمَا﴾ نافية، والاستثناء من عموم الأشياء المشيئة وأحوالها وأزمانها، ولما كان ما بعد أداة الاستثناء حرف مصدر تعين أن المستثنى يقدر مصدرًا، أي إلا شيء الله «بمعنى مشيئته» ، أو مضافًا، فإن قدر مضافًا كان المعنى: إلا «حال مشيئة الله» ، أو «إلا زمن مشيئته»، وإن لم يقدر مضافًا كان المعنى: «لا مشيئة لكم في الحقيقة إلا تبعًا لمشيئة الله»، ففي الآية تنبيه الناس إلى هذا المعنى الخفي؛ ليرقبوه في أنفسهم فيجدوا آثاره الدالة عليه قائمة متوافرة، ولهذا أطنب وصف هذه المشيئة بالتذييل بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: لأنه واجب له العلم والحكمة فهو أعلم، فمن شاء أن يدخله في رحمته، ومن شاء أبعده عنها، وقد علل ارتباط حصول مشيئتهم بمشيئة الله بأن الله عليم حكيم، أي: عليم بوسائل إيجاد مشيئتهم الخير، حكيم بدقائق ذلك مما لا تبلغ إلى معرفة دقائقه بالكنه

(١) سورة الشورى٤٢ الآيتين ٥٢-٥٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/ ٤١١، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٨/ ٣٩٨.

عقول الناس.

وقد حصل من صدر هذه الآية ونهايتها ثبوت مشيئتين: إحداهما: مشيئة العباد، وأخراهما: مشيئة الله، وقد جمعتهما هذه الآية فكانت أصلًا للجمع بين متعارض الآيات القرآنية، فمشيئة العبد مجردة لا تأتي بخير ولا تدفع شرًا، وإن كان يثاب على المشيئة الصالحة، ويؤجر على قصد الخير[١]، ومعنى الآية على ذلك: أي: لا يقدر أحد أن يهدي نفسه، ولا يدخل في الإيمان، ولا يجر لنفسه نفعًا إلا أن يشاء الله فهو –سبحانه– عليم بمن يستحق الهداية، فييسرها له، ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة –جلَّ جلاله[٢]–.

قوله: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ...﴾ بيان لإحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته، أي: يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها، وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل إليه – سبحانه وتعالى– ، حيث يوفّقه لما يؤدي إلى دخول الجنة من الإيمان والطاعة.

وجملة: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ...﴾ يجوز أن تكون الجملة مستأنفة استئنافًا بيانيًّا ناشئًا عن جملة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ ،إذ يتساءل السامع على أثر مشيئة الله في حال من اتخذ إلى ربه سبيلًا ، ومن لم يتخذ إليه سبيلًا، فيجاب: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ...﴾، ويجوز أن تكون الجملة خبر «إن» في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾، وتكون جملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ معترضة بين اسم «إن» وخبرها، أو حالًا، وانتصب ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ على أنه مفعولٌ لفعلٍ محذوفٍ يدل عليه المذكور على طريقة الاشتغال، والتقدير: «أوعد الظالمين»، أو نحو ذلك مما يقدره السامع مناسبًا للفعل المذكور بعده، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بسبب إصرارهم على ظلمهم، وإيثارهم الباطل على الحق، والغي على الرشد، والله –تعالى أعلى وأعلم[٣]–.

---

(١) كما في حديث: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى».

(٢) يراجع: تفسير ابن كثير ٨/ ٣٠١، والتحرير والتنوير ٢٩/ ٤١٢ وفتح القدير ٥/ ٤٢٧، ومحاسن التأويل ٩/ ٣٨٠، تفسير المراغي ٢٩/ ١٧٦.

(٣) يراجع: محاسن التأويل ٩/ ٣٨٠، التحرير والتنوير ٢٩/ ٤١٢ والتفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢٣٠.

المطلب السابع: ما ترشد إليه الآيات

أولًا: التحريض الشديد على المسارعة إلى الطاعة؛ لأن الله- تعالى- قد مكن الناس من ذلك، حيث وهبهم الاختيار والعقول المفكرة، وأرسل إليهم الرسل ليخرجوهم من الظلمات إلى النور.

ثانيًا: هذه الآيات فيها إشارة إلى قدرة الله القادرة التي لا يفلت من سلطانها مخلوق، والتي تخلق ما تشاء وتختار دون معوِّق أو معقب.

ثالثًا: القرآن الكريم فيه تذكرة وموعظة، ودليل هاد، وقائد أمين، لمن شاء أن يعرف طريقه إلى الله، ويسلك مسالك الهدى والرّشاد.

رابعًا: مشيئة الله -عز وجل- فوق كل مشيئة، فلا بد وأن يعلم الإنسان أن الله هو الفاعل المختار المتصرف القهار، فيتعلم من ذلك كيف يتجه إليه ويستسلم لقدره.

خامسًا: الله -سبحانه وتعالى- صاحب العلم المطلق الذي لا يحده شيء، وصاحب الحكمة البليغة التي لا نهاية لها، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، إذ هو الخالق- سبحانه- لكل شيء، وهو صاحب الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين [1].

(١) يراجع: التفسير الوسيط لطنطاوي ١٥/ ٢٣٠، وأيسر التفاسير للجزائري ٥/ ٤٩٠، والتفسير القرآني للقرآن ١٥/ ١٣٨٥.

الخاتمـــة

الحمد لله منزّل الكتاب على قلب محمد النّبي الأمين، والصـــلاة والســـلام على أفضـــل الأنبياء والمرسلين الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين، وبعد:

أولًا: التفسير التحليلي لسور القرآن يتسم بخصائص انفرد بها عن غيره من أنواع التفسير، وهو العامل المهم في إبراز الهدف الكلي للســـورة؛ لأنه يفســـرها بســـياقات متعددة، ومن خلاله نعرف المقاصـــد الأساسية للسور القرآنية، فهو المسلك البياني للنص القرآني الذي لا غنى عنه لأي مفسر، فهو يزوده بشتى الوسائل المختلفة؛ لأداء مهمته التفسيرية.

ثانيًا: صلة سورة الإنسان بما قبلها أنه لما ذكر في سورة القيامة الأهوال التي يلقاها الفجار يوم القيامة ذكر في هذه السورة ما يلقاه الأبرار من النعيم المقيم في تلك الدار.

ثالثًا: سورة الإنسان ألقت الضوء على أن الله -عز وجل- أعطانا السمع والبصر والفؤاد، ونصب لنا الأدلة في الأنفس والآفاق؛ لتكون مسرحًا لفكرنا، ومغنمًا لعقلنا، وهذا مما يجعل الإنسان يقبل على ربه، ويعلم علم اليقين أنه هو الخالق المدبر -جلَّ جلاله-.

رابعًا: الله عز وجل امتن على عباده بنعمة الإيجاد ونعمة الإدراك والتمييز بين الخير والشر وإرشاده إلى الخير بواسطة الرسل، فمنهم من شكر نعمة الله، ومنهم من كفرها فعبد غيره.

خامسًا: هذه السورة فيها تثبيت النبي -صلى الله عليه وسلم -على القيام بأعباء الرسالة والصبر على ما يلحقه في ذلك، والتحذير من أن يلين للكافرين، والإشـــارة إلى أن الاصـــطفاء للرســـالة نعمة عظيمة يستحق الله الشكر عليها .

ســادسًــا: هذه الســورة بما فيها من ترتيب بديع ونســق عجيب ووعد ووعيد وترغيب وترهيب، تذكرة للمتأملين، وتبصـرة للمسـتبصـرين، فمن شـاء الخير لنفسـه في الدنيا والآخرة فليتقرب إلى ربه بالطاعة، ويتبع ما أمره به، وينته عما نهاه عنه؛ ليحظى بثوابه، ويبتعد عن عقابه.

نســـأل الله- تعالى- أن يجعلنا ممن هم أهل لرحمته ورضـــوانه، وأن يبعدنا عمن هم أهل لعذابه ونقمته، وأن يجعلنا من الأبرار، والمقربين الأخيار، ويجعل سـعينًا مشـكورًا لديه، وصـلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

١. أسباب النزول، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع -بيروت – لبنان -عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

٣. إعراب القرآن للنحاس، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه، وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .

٤. إعراب القرآن وبيانه ، المؤلف : محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) ، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥هـ.

٥. إعراب القرآن، المؤلف: أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم ، الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.

٦. إعراب القرآن، المؤلف: أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم ، الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ .

٧. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٨. باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن، المؤلف: محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي أبو القاسم، الشهير بـ (بيان الحق)، (المتوفى: بعد ٥٥٣هـ) المحقق (رسالة

علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي ، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة ،عام النشر: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٩. البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت.

١٠. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤ هـ) ،المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الناشر: الدكتور/ حسن عباس زكي - القاهرة.

١١. البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.

١٢. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة المحقق: محمد علي النجار ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة دون ذكر سنة طبع.

١٣. بغية الوعاة ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان، دون سنة طبع.

١٤. بيان المعاني، المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني المتوفى: ١٣٩٨هـ ، الناشر: مطبعة الترقي - دمشق الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥م.

١٥. التبيان في إعراب القرآن الكريم، المؤلف : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ) المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه ،دون ذكر لسنة النشر.

١٦. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف ، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.

١٧. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ

١٨. تفسير ابن فورك، المؤلف: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير) ، الناشر: جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.

١٩. التفسير الحديث، المؤلف: دروزة محمد عزت ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ،الطبعة: ١٣٨٣هـ .

٢٠. تفسير السمعاني ، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) ،المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، الناشر: دار الوطن- الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢١. تفسير الشيخ المراغي ، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.

٢٢. تفسير القرآن العزيز، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ) المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، محمد بن مصطفى الكنز ، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٣. تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ،المحقق: سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٢٤. التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠ هـ) ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، دون ذكر الطبعة وسنة النشر.

٢٥. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨هـ.

٢٦. التفسير الوسيط ، المؤلف: فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر -رحمه الله- ، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة. دون ذكر الطبعة وسنة النشر.

٢٧. تفسير مقاتل بن سليمان ، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: ١٥٠هـ) المحقق: عبد الله محمود شحاته ، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣هـ.

٢٨. التفسير والمفسرون المؤلف: الدكتور/ محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨ هـ) ، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة -دون ذكر سنة الطبع.

٢٩. جامع البيان في تأويل آي القرآن ، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٠. الجامع لأحكام القرآن ،المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٣١. الجدول في إعراب القرآن ، المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ) ، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ.

٣٢. حجة القراءات ، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ) ، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دون ذكر الناشر وسنة النشر.

٣٣. الحجة للقراء السبعة، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) ،المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق ، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٣٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت ، دون ذكر سنة طبع.

٣٥. دلائل الإعجاز، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠ هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٧. زاد المسير في علم التفسير ، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

٣٨. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

٣٩. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥ هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٤٠. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) ،المحقق: بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

٤١. السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٤٢. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة ط٣، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

٤٣. صحيح ابن حبان – الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان –، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ التميمي أبو حاتم الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٤. صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

٤٥. صحيح البخاري – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسننه وأيامه– اللمؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ،

٤٦. صحيح مسلم –المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٧. صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني ، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٨. الصناعتين ، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت– عام النشر: ١٤١٩ هـ.

٤٩. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ) ، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٥٠. العبر في خبر من غبر، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي توفى: ٧٤٨هـ، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– دون سنة طبع.

٥١. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المؤلف: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٥٢. غريب القرآن المؤلف ، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر ، الناشر: دار الكتب العلمية، السنة: ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

٥٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

٥٤. فتح البيان في مقاصد القرآن ، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت– عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٥٥. فتح القدير للشوكاني ، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت– الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ .

٥٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٥٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان -الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٥٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

٥٩. لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ .

٦٠. اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٦١. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر - بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٦٢. المبسوط في القراءات العشر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١هـ) ، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي ، الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق- عام النشر: ١٩٨١م.

٦٣. محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٦٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

٦٥. المسند، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٦. مشكل إعراب القرآن لمكي، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ.

٦٧. معالم التنزيل في تفسير القرآن، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٦٨. معاني القرآن وإعرابه، المؤلف، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت- الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٦٩. المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

٧٠. مفاتيح الغيب، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

٧١. المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) ،المحقق: صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٢هـ.

٧٢. المنهجية في إعداد الرسائل والأبحاث، المؤلف: صلاح الدين فوزي الطبعة الأولى١/ ١/ ٢٠١٢م، ، الناشر: دار النهضة العربية للنشر .

٧٣. الموسوعة القرآنية خصائص السور، المؤلف: جعفر شرف الدين المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي ، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ. ، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤٢٠ هـ. ـ

٧٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، دون ذكر سنة الطبع.

٧٥. النكت والعيون ، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت لبنان –دون ذكر سنة الطبع.

٧٦. الهداية الى بلوغ النهاية، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) ، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي ، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٧٧. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) ،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور/ عبد الرحمن عويس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي ، الناشر: دار الكتب العلمية، – بيروت لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

المقدمـــة ٢٣٩
أهمية الموضوع ٢٤٠
سبب اختيار الموضوع..... ٢٤٠
المنهج المتبع في البحث ٢٤١
خطوات تنفيذ وإعداد الموضوع ٢٤١
خطة البحث ٢٤٢
التمهيد ٢٤٥
اسم السورة..... ٢٤٥
عدد آياتها ٢٤٦
نوعها ٢٤٦
ترتيبها..... ٢٤٨
غرضها:..... ٢٤٩
مناسبتها لما قبلها..... ٢٤٩
مقاصدها ٢٤٩
سبب نزولها ٢٥٠
المبحث الأول: تذكير الإنسان بنعم الله عليه، وأن كفره وإيمانه باختياره. ٢٥٣
المطلب الأول: المفردات اللغوية..... ٢٥٣
المطلب الثاني: الإعراب ٢٥٦
المطلب الثالث: البلاغة..... ٢٥٧

المطلب الخامس: التفسير والبيان. ٢٥٩
المطلب السادس: ما ترشد إليه الآيات. ٢٦٦
المبحث الثاني: الله يخاطب عباده بأسلوب الترغيب والترهيب..... ٢٦٧
المطلب الأول: المفردات اللغوية. ٢٦٧
المطلب الثاني: الإعراب ٢٦٨
المطلب الثالث: البلاغة..... ٢٦٩
المطلب الرابع: القراءات ٢٧١
المطلب الخامس: المعنى الإجمالي ٢٧١
المطلب السادس: التفسير والبيان ٢٧٣
المطلب السابع: ما ترشد إليه الآيات ٢٧٩
المبحث الثالث: الحديث عن الأبرار بشيء من التفصيل ٢٨٠
المطلب الأول: المفردات اللغوية ٢٨٠
المطلب الثاني: الإعراب ٢٨٢
المطلب الثالث: البلاغة..... ٢٨٦
المطلب الرابع: القراءات ٢٨٩
المطلب الخامس: المعنى الإجمالي ٢٩١
المطلب السادس: التفسير والبيان ٢٩٣
المطلب السابع: ما ترشد إليه الآيات ٣٠١
المبحث الرابع: إثبات أن القرآن من عند الله وأن العبادة هي السبيل إلى الفوز بجنات النعيم. ٣٠٢
المطلب الأول: المفردات اللغوية ٣٠٢
المطلب الثاني: الإعراب ٣٠٣
المطلب الثالث: البلاغة..... ٣٠٤

المطلب الرابع: المعنى الإجمالي ٣٠٤
المطلب الخامس: التفسير والبيان ٣٠٥
المطلب السادس: ما ترشد إليه الآيات ٣٠٩
المبحث الخامس: من اتبع هُدى الله فاز ومن ضل خسر ٣١٠
المطلب الأول: المفردات اللغوية ٣١٠
المطلب الثاني: الإعراب ٣١١
المطلب الثالث: البلاغة ٣١٢
المطلب الرابع: القراءات ٣١٢
المطلب الخامس: المعنى الإجمالي ٣١٣
المطلب السادس: التفسير والبيان ٣١٤
المطلب السابع: ما ترشد إليه الآيات ٣١٨
الخاتمـــة ٣١٩
فهرس المصادر والمراجع ٣٢٠
فهرس الموضوعات ٣٣٠